أفكار مخلّة بالنّظام

تأليف :

إبراهيم بن عبدالله الزنيدي

اهداء

إلى المرأة العظيمة التي علمتني
أن فخري الأكبر ربي وشرفي
الأجل محبته..
إلى التي مزجت الأمل بروحي
والعزيمة بدمي..
إلى أمي..

بداية كل الأشياء

الحب هو القوة ..
القوة هي الجهل .. الجهل هو العقل.. العقل هو الجنون .. الجنون هو الخيال..
الخيال هو الحقيقة .. الحقيقة هي السر.. والسر هو الصمت .. والصمت هو الوحدة ..
والوحدة هي الأنا ..

هناك خطوط حمراء رفيعة تفصل الدول وتصنع الحروب والفقر..
هناك خطوط حمراء لعينة تحاصرني..
وتعلن الحرب كلما حاولت بناء عالم صغير يتسع لفكري..
.. هناك خطوط حمراء في كل مكان .. في قلب أمي ..
في صورة أبي الوحيدة .. في أمنيات أخوتي.. في أحلام صديقي..
وفي سطوري..
..
إن الهدوء الآن ينبعث مع دخان سيجارتي .. يتراقص ليخط المشيب في سواد الليل المرمي كالقمامة خلف النافذة .. إن السماء خالية من ادعاءات التملك..
وإن الأشياء التي لا تبالي بقوانين الربح والخسارة تحثني على الكتابة..
وإني الآن أكتب..

1
المسرحية

الحياة ككل مدعاة للسخرية .. لا شيء فيها حقيقي مهما كان .. كل شيء مؤقت ومشروط ومتحول.. البعض ينظر لها على أنها طبيعة وقوانين .. وأنا أنظر لها على أنها مجرد مسرحية ساخرة جداً وحد البكاء أحياناً ..

هذا لا يعني بأني أقابل الحياة بابتسامة" حمورية " مليئة بالرضا .. لا يستطيع أي رجل محطم مواجهة الحياة بابتسامة .. لا يصح هذا في عالم تسيطر عليه القوانين والهراء العلمي .. ولكن يصح حين تنظر للعالم على أنه مجرد مسرحية ساخرة, ونتيجة للأشياء التي فعلتها والأشياء التي لم أفعلها توجب علي لعب دور الكائن المنهك الذي لا يعرف الغاية من تصديق بقية الممثلين للمسرحية .. يا إلهي إنهم يتقنون أدوارهم بشكل مخيف.. حتى أني أشك في قناعتي بأن الحياة مسرحية .. لأتوه من جديد بينهم .. أبحث عن شيء مقنع أستطيع أن أؤمن به .. لأنام بلا ضجيج في رأسي ولو لمرة واحدة..

ربما أكمل الكتابة , وربما أحبط .. أو أخاف بأن أحطم من جديد .. أو أجوع أكثر فأنسى الكتابة .. ولكني متأكد بأني سأرتكب حياتي كما لو أنها مغامرة سأحاول أن أعود بعدها إلى البيت في الجنة.. ولا أبالي إن صدق بهذا أحد أو لا.. مهما كانت كمية المعلومات المخزنة في جمجمته.

لم تعد الأسماء مقنعة بعد أن تحول كل شيء إلى مجموعة أرقام .. أنا عبارة عن تسلسل من الأرقام في نظر الحكومة .. و"شرير محتمل " كما تعتقد وزارة الداخلية , وخسارة بلا مقابل في ميزانية وزارة الصحة , وحمار يعلمه جحا في نظرية وزارة التعليم, وصندوق بارود في اعتقاد المجتمع.. وضال فاسق في عين المشايخ, ورجعي متخشب في عين العلمانيين..

كلهم ينظرون لي على أني " مدمر " ولابد من إعادة أعماري .. ولكنهم يهدمون هويتي وقناعاتي ولا يبنون إلا نسخ كربونية لهويات تاريخية لا أستطيع أن أكون مثلها لأني لست مثلها.. أعلم أنهم على صواب ولو عاشوا في عصرنا لفعلوا الصواب ولم يفعلوا " الماضي ".. إن هويتي تعمر وتهدم كل يوم , مع نشرة الأخبار , ومع افتتاحية الصحيفة , ومع خطبة الجمعة , ومع نقاش طويل على الرصيف..
تباً لهذا ..!!

2
غباء أكاديمي

أثناء حديث الدكتور عن الأمور التي يدعي بأنه يعرف المغزى من حدوثها داخل الإطار الوجودي للعقل البشري البدائي كنت أتأمل الحياة الهادئة والقاسية التي تسير بشكل وحشي غير مبالية بالأرواح التي تطحنها لتتابع تقدمها نحو المجهول.. هنا يكمن البؤس الإنساني, في التخبط بين الإيمان الذي يجمع الكون بعبارة مؤمنة ,والشك الذي يقسم الذرة ليبحث عن مزيد من نفسه..
كيف يحدث أن نخرج من عالم يحرم المذياع إلى عالم يرسم الكون "بالصفر والواحد".. أي منطقية لعينة قادرة على تبرير كل هذا التناقض .. ثم كيف يحدث أن نقرر الهرب من أوطان الورق لنرمي ظهورنا المتعبة من انتماء الكرباج والبسطار وثلاث طرقات بعد منتصف الليل على أرض الشعوذة الإليكترونية..
كل شيء يصبح منطقياً حين ندرك أننا لا نعرف أي شيء..!!

أعلم أني شيء صغير وضئيل داخل هذه المنظومة المرعبة.. أنا مجرد لا شيء

مثل بقية الأشياء.. لا يهم, إني مجرد كائن وحيد وخائف.. أضحك حد الجنون حين أجد على أرض الغرفة ورقة كتبت عليها " خطة عمل ".. حياتي بمجملها عبارة عن " خطط متضاربة ".. مدير العالم .. أمير المؤمنين.. ملياردير متقاعد.. مردونا الإسلام .. رامبو المساجد .. موظف بسيط على بند الأجور.. طالب جامعي منذ الحقبة الفرعونية.. أو حتى شيء مؤجل تحت شعار " ثور اللّه ببرسيمه " ..!!.. المهم " خطط " يا كون .. يا منظومة حياة .. يا سياسة واقتصاد وعلم مستحثات..!! أفهم يا أخي .. " خطط " ..!!

لعل مشكلتي في الحياة بسبب إمالة رأسي والنظر للأشياء من زاوية مختلفة.. في طفولتي كنت أرمي رأسي وكأنه " مسبحة " أو مفتاح لسيارة لم تعد لنا .. كان رأسي مجرد شيئاً من أشيائي ..
...
قبل قليل قال الدكتور أن بالقاعة " حمير " لا يحترمون (المسيرة الأكاديمية).. فلتذهب المسيرة والقافلة والكلاب وكل الأشياء التي تسير لتبحث عن أشلاء جشعها إلى ما تريد.. لم أعد أبالي .. لذا لن أقول أي شيء .. إني على قناعة هائلة , أن المحن هي الفرصة المثلى ليتزعم فيها الحمقى جوقة الضجيج .. أدركت هذا بعد أن شاهدت نشرة الأخبار ما يقارب ثلث عمري.. لذا لا أحب التلفاز..ولا حتى الكمبيوتر .. حقيقة أنا لا أحب أي شيء.. وأنا آسف لهذا.. كلما تذكرت بأني لا أحب أي شيء أشعر بأن أذنان طويلتان تخرجان من أعلى بقعة في رأسي..!!

قد أكون مجرد " حمار غير أكاديمي " .. ولكن من يبالي ..!!

3
تحذير فكري

.. وإذا المصباح الكبير يهتز ليخرج رؤوس أصابعي من مقبرة كفي.. ثم أوزع دوافع الكتابة ما بين حاجة ورغبة.. فيضج رأسي بالمعلومات الناقصة.. لا فلسفة .. الحياة أسهل .. لو كانت صعبة لولدنا ومعنا " كتيّب استخدام " .. سأفرّق كل هذا الذي لا أعرفه على كوب شاي بارد وثلاث سجائر..

السيجارة الأولى

كانت الدهاليز الضيقة تحتويني, وشعوري بالضآلة يتلاشى كلما أحسست بروحي تلامس حدود جسدي.. بعد عشرين سؤال موجه لإبرة البوصلة..
هززت يدي وطرقت باباً صغيراً.. عدت للوراء خطوتين لأختبئ خلفي.. ثم قلت للذي يسترق النظر من خلف الثقب الصغير:
ـــافتح الباب إني الرجل الذي يكتبك..
لم يفتح الباب,لقد تركني منفياً بكينونتي كمسمار المزولة..قلت بيأس:
ـــإني مجرد أنا.. صعلوك آخر.. كرامة بكل بؤساء الأرض افتح..!!
فتح بعصبية ونظر إلي طويلاً.. وكنت بدوري أنظر إليه محاولاً دمج الرؤية بأي شعور لأتفاعل معه.. أرخى يده وتركها تتدلى ما بين رغبتي ورغبته.. ثم استدار بحذر وكأن جسده من زجاج وطلب مني أن أتبعه.. سرت خلفه وأنا أحاول ألا أطأ عمره الذي تركه في ذمّة خطاي المقبلة.. دخل غرفة صغيرة مظلمة.. وذهبت أنا لأحد الغرف الفارغة..

السيجارة الثانية

الحلم الذي يتسول من الحرمان شيئاً من النسيان.. يدق الآن بابي.. فأخبره بأني لم أذق من قبل شيئاً لم يمزج بالتعب..إنه يصرخ من وراء الباب " أفتح إني شقوتك..".. فتحت له وأشرت ناحية الغرفة " الثالثة ".. كان الضوء

يتراقص في عينيه.. وهو هائم في دهاليز وعيه.. يبحث عن نقطة حمراء في الخريطة.. فجأة أدرك أنه لم يمتلك من قبل خريطة.. ولم يؤمن يوماً بدرب.. ولم يرَ في حياته كلها أي " نقطة".. أخرج رأسه من دوامة هاجسه وقال لوجهه المبعوث ببقية الغرف؛ أن الحياة حلم غفلتها اليقظة وكذبها "الواقع".. وأن الصمت أعتا درجات الثرثرة.. تنفجر الروح وتحدث نفسها عنها.. إن الصمت " مرآة " تعكس وجهك المخفي خلف الضجيج.. إن اعتنقت الصمت يوماً ستدرك أنك شيء منهك وممل.. بينما يظن من حولك أن حكمتك أسكنت الكون "صمتاً" في روحك..
كان أنينه يطوف في الفراغ الذي " يملؤنا " .. يعكر فضولنا بخوفنا.. ودهشتنا بغبائنا.. أكمل شيئاً من هذيانه.. ثم خفت.. حتى ضاع في سماء وحدته.. تاركاً صمته خلفه مجرد أنين أزرق.. لا حول له ولا قوة..

السيجارة الثالثة

بالغرفة الأولى كانت الصور تتكاتف ضد ساكنها.. فيتحسس ذاكرته بأصابعه التي تخاف أن تهز عرش رأسه.. ويقف لعزته العنيدة.. ثم يرفع ناظره للسماء بألم ويهبط به إلى الأرض بأمل.. كان فقره خبراً سيئاً لحلمه.. ومنصفاً لواقعه.. ومضحكاً لطموحه.. رهن عقله لقلبه ورمى نرد حاضره على طاولة مستقبله.. إن العقارب الآن ترتعش في قرص ساعته.. تهمس له أن نهاياته التي تزف كل بداياته قد أعلنت ساعة الصفر.. لم يكن وصياً على "الوقت" لذا لم يبالي بملايين الأموات المنسيين على ساحة الزمن.. إنه مجرد جزء من نفس تلك الأجزاء المنهارة في حضرة " العمر ".. حين يطردني ستكون يدي مليئة بالثواني التي نطقت فيها "اسمها" الذي أخرجني من قلبي لأفرغه لها..!!
لايهم..
سأشتري علبة ثانية أثناء بحثي عن قلبٍ آخر مزدحم..
..
" ما " تمت .. لقد انتهت سجائري فقط..!!

4
معمّر كالذبابة..

عملية حسابية بسيطة

معي 2556 ريالاً.. وإن لم أدفع لتاجر البندقية هذا 2000 ريال فلن يعود التيار.. حسناً حين أعطي هذا اللعين نقوده سيتبقي معي 556.. تذكرة الطائرة ستكلفني 240.. أي سيتبقى لي 316.. إنه مبلغ جيد..

لحظة ..!!

إن عدت للديار بلا هدية ستعلم أمي أن ميزانيتي العمومية مليئة بالأصفار.. لا أريد أن تنهار كذبتي العظيمة التي أسردها لها في كل اتصال بأنني أصبحت (المساهم بنصر اللّه) .. حسناً سلسال ناعم بـ 300 سيحل المشكلة وينفي تلك التهمه.. إذاً سيتبقى معي.. لا أريد أن أعلم !!

ذهب.. يا سوق الذهب..!!

بعد أن مللت من التسكع بين دكاكين (السويكت) دخلت أحد محلات الذهب.. وصرت أقلب عيني بين تلك الفلزات اللعينة وأستذكر الحكمة القديمة (القناعة كنز لا يحمل أي قدرة شرائية) !. وبعد كم لا بأس به من الأسئلة المركولة من فمي على نمط (وهذي بكم..؟ أنت تمزح ؟) تغيرت لهجة الصائغ وتبدلت سحنته.. وسألني بجلافة إن كنت أريد حقاً (شراء أي شيء)..

ـــ يا أخي للمرة الألف أقول لك أني لا أريد شراء (أي شيء).. بل أريد سلسالاً يتناسق مع الحدث ويعبر عن ضمير المودة.. حين أراه على أمي الطاهرة أتذكر فرحتي بفرحتها, لا أن أتذكر قيمة الفاتورة..! ولا أهتم بكمية الالكترونات

القادر على حملها أو قدرته على تحويل ثاني كربوهيدرات البوتاسيوم إلى ضب أرقط بعكرتين..! أو أنه كان في صياغته السابقة أحد (ضروس) أمير المؤمنين..! كل ما أريده بسيط جداً..

لو لم يطردني هذا اللعين لأكملت مواصفات السلسال..والله ما هذا بصائغ إنه (صائع)..!

حين دخلت محل ذهب آخر.. توجهت إلى أحد الفتيات وقلت بأدب عارم
ــــ لو سمحتي.. قدر الله علي وأخذت إجازة..
لا, لا هذه بداية سيئة..!!
(من جديد : 1 2 3 صور !)
كما تعلمين تعتبر الحاجة للانتماء حاجة مهمة حتى أن بعض علماء الاجتماع خالفوا المدرسة التقليدية وصنفوها على أنها في المرتبة الثانية بعد الحاجات الفسيولوجية ومن هذا المبدأ..
..
إني الآن في سيارة (الجمس)أحاول إقناع الأخوان بأنهم لو تركوني أكمل حديثي لوصلت لهذا المقطع:
(لذا أتمنى أن تختاري لي سلسالاً " بـــ 300 "... لأهديه لأمي..).

حيثيات :

- مصباح أصلع برتقالي
- أربع حشرات تدور حوله.. الخامسة لا تدور.. لعلها متعبه
- كرسي صغير أحد قوائمه أقصر (أو أطول) من الثلاثة الأخرى..
- هذا الكرسي الصغير يسبب لي آلاماً لا توصف ولا أدري إن كان هذا يعود لرداءة تصنيعه أم أن كمية الـ(نيوتن) فيه عالية..!
- شخص بدين يطلب مني التوقيع على (التعهد).

ـــ وقع..
ـــ أين..؟
ـــ هنا..
ـــ هل ستكون حياتي أشد بؤساً بعد التوقيع..؟

لم يجب على سؤالي.. سحب الورقة ووضعها بالدرج المليء بتعهدات الناس الذين يريدون شراء هداياً لأمهاتهم.. قلت في نفسي (أو قلت لها) : لا تحزني فكل نفس مبلية بذاتها..
هزت (عاليها) بخيبة رجاء وذهبت لتتركني منزوعاً منها.. تباً لي حين أقتات على ما تبقى لي من دوافع نبيلة..

بث تجريبي :
..هل نسيت (الدردغة) يا رجل..!!

ـــ (بريه) أنا هنا..!
هذا منصور (وهو كما لا تلاحظون) عبارة عن أربع جينات قررت في ليلة سكر أن تستقل في كيان خاص.. حديثه معي يرتكز دائماً على كلمة (تذكر ؟) ولو كنت (أذكر) فعلاً لما تبقى لي من حاضري شيئاً (لأعيشه فأتذكره).. وهو يعلم هذا لذا يقص لي " كاذباً " الأحداث التي قمنا بها معاً وكيف أننا كنا.. حقيقة لا أدري كيف كنا.. فهذه الكينونة تختلف وتتبدل مع مزاجه وحالته النفسية.. حللت عقاله وتركته يحوم بحرية حول حمى الحقيقة.. لا شيء جديد إنه يتحدث عن رحلتنا إلى (مصر)..
أفقت من هواجسي على كلمة (الدردغة)..
ـــ ماذا..؟
ـــ (الدردغة) يا رجل..!

دمي المتخم بالنيكوتين قال :
ـــ .. إنها (الغردقة) يا منصور !!

خيانة عظمى :
إيماني ضريبة إنسانيتي..

ملصق تسويقي إيماني : (إخوانك في بلاد الواق واق بحاجة لك).. أتجاوزه فيقتحمني آخر(تبرعك يصونهم من الفقر)..(تبرعك يوفر لهم المعيشة الكريمة).. بعد عشر محاولات فاشلة لاستحلاب إيماني (تبرع يالي ما تستحي على وجهك !!).. بعيداً عن المنطقة المستهدف إيمانياً.. في عمق المنطقة المستهدفة وطنياً, ملصق ينضح بالوقاحة مغروس كالفزاعة بين تعابير الشقاء المزورة في وجوه المتسولين (ضع يدك بيدي لنقضي على ظاهرة التسول..) أدخلت يدي في جيبي وعصرت النقود المتكومة برعب ..كنت أستلذ بسماع صراخها.. وضعت يدي بيد المتسول ورفعتها لأترك النقود تسقط في يد بائس فداءً لرغيف خبز.. يتمتم البائس (..اللّه.. يجزاك خير.. يا رب.. آمين) فلتذهب كل مؤشراتي الاقتصادية إلى الجحيم من أجل هذه الـ (آمين).. تباً لقد قايضت وطنيتي بـــ (آمين)..!!

نشاز :
لم تدفع الإيجار أيها الليل..!

يوشوش الليل في أذني (لا تبللني بصبحك). إنك سكير أيها الليل ولا تعي كلمة مما تقول..! أنظر للشوارع الضيقة .. للأشجار الشاخصة بين أوامر الإشارة.. إنه الفراغ الذي لن تملؤه جرتك.. أتذكر ما قلت لي قبل عام (هاأنا ذا أدور في محاجرك منذ قرن..).. لم أعد مجنوناً.. ألا ترى.. لم تعد تسكنني !.. أنت تتطفل على شيء يشبهني.. ويقلدني لأصدق بأنه أنا..!. لن أستمع إليك ولا لهذه السيارة اللعينة التي تثرثر باليابانية (إني أسير ولا أصل).. سأرميك في ذاكرة "منصور" ليسلخك في كل كذبة..!.

إلى عنيزة.. (عائداً)

لقد دفعت الإيجار وعادت الكهرباء وبدأت الثلاجة بالعمل.. الآن فقط أدركت أن كل هذا حدث من أجل (علبة تمر وجرة كتشب).. لا يهم إني عائد للديار وفي حقيبتي علبة دخان وثياب متسخة.. وفي جيبي (سلسال) يقسم أنه لم يكن من قبل (ضرساً) لأمير المؤمنين.. وفي رأسي ليل منفي في ذاكرة منصور.. وفي قلبي شيء نقي ادخره لأمي..

5
كائن سردي

جميع الأشياء تكون ذات أهمية خاصة إن أصبحت هي الوحيدة بوجودها والأخيرة بكينونتها.. لذا حين تكون اللقطة الأخيرة لي موحشةً وباردةً وموشّحةً بالعتمة, سأنظر لفرديتي على أنها رقمٌ تقريبي لحالة استثنائية, لقد قررت أن أقسمني لأجزاء وأجعل بعضي يختار أي بعض لي وَأي بعض لآخر دوافع الكتابة.. هكذا لن أصبح متوحداً بذاتي ولن أحَتضن قلبي بيدً مرتعشة. قلمي الذي يمنعني من التحول إلى دَين غير قابل للسداد, يرسم علًى كفي كل مساء تذكرة (ذهابٍ) ويهمس بلوعة (أرجع) وأًنا الذي لا أدري لأي شيءٍ غادرت ً ممالك الضوءٍ, أنظر لتذكرة العًودة على أنها صك غفرانٍ بيد زنديق, وًلو آمنت بتلك النظرة لاشتركت مع من باع لي المغفرة ذات المصيًر..
ولكن بوجهةٍ مختلفة..!!

ستبدأ الحبكة بالنشوء..

كان معطفي الأسود الذي أضعته قبل عام, يسير معلقاً على كتفيّ رجلٍ ذو رأس مائل لليمين, لم يهذب ذقنه منذ ثلاثة أسابيع, والموسيقى تنبعث ً من المعطَف متَّـزّرةً بالقش لترقص حوله رقصةً ساحليةً محبطة, ومن ثم تتبعثر في الهواء البَارد بأسنانٍ مصطكة. أخرج هاتفه المحمول من جيب معطفي الضائع وأخذ يثرثر مع ً المتصل. بعد دقائق أنهى المكالمة, وعادت قسماته الأولى لتسيطر على وجهه. دخل بهذا الوجه المعتـّق إلى المستشفى وجلس على أحد المقاعد في غرفة الانتظار. كان يسعل بشدة ويحاول قمع كمية الألم التي تطيش صاعدة لحنجرته بيده اليسرى ويدفن أصابع يمناه بشعره.. وحين تهدئ النوبة يشد نفساً طويلاً ليحارب به الأرواح المندسة في صدره .

تركته على أحد مقاعد الانتظار وأنا أفكر في الحيلة التي قام بها مخيخه الأيمن ليفرض على العقل كله أن يفكر بصورةٍ مائلة..

بعد ساعة خرج معطفي من المستشفى محتضناً رجلاً آخر في عينيه حلمٌ مسمّمٌ وفيً فمه ثلاثة أحرف لم يجد أي مبرر يحثه على نطقها.. كان البرد يفضح حرارته ويحمل دخانَه ليهزه أمام الليلً ومن ثم تسترحمه ألف سيجارة لم تشعل فيحن قلبه ويترك الدخان يصعد مبتهلاً.. لم يكن الضوء يرتكب كلً هذا فحسب.. بل تختر منتشياً به غير مبال بأي انسداد سيحدث في مخيلتي.. كنت أسمعه يقول لمعطفي بأن الحياة وجهًات نظر فقطً وأنه يرى من وجهة نظرة أن الحكومات والسياسيين يافطاتٌ تشير إلىً طرقات جانبيه للجحيم, وأن السبيل لخلاص البشرية من هذا البؤس الذي يرقص عارياً كلما تحسسوا كتلة الإيمان فيهم أن يصنعوا مذياعاً عملاقاً ويرسلوه للفضاء الخارجي ليتحدثوا عن كل شيء ويتخلصوا من نفاياتهم الروحية. كان معطفي يتمنى لو أن له أذنان ليسدهما بسبابتيه التي لا يملكهما أيضاً. فجأة بدأ المعطف يهرب الموسيقى من أحد جيوبه, طقطق الهواء أصابعه وكتب بخط واه النوتة, وبلل الوجود شفتيه وقرأ لمعطفي وللرجل الذي "يستعمره" أغنيةً شعًبية قديمة تحكي بأن شجاعة الضعيف أعظم مجداً من رهبة القوي..
أفاق الرجل من هذه الهواجس على ألم قدمه, وجلس على حافة الرصيف

وصار يدلك قدمه ويمسحها ليثبت لها بأنه لا يعتبرها حيوناً أليف.. وهو يهمس لأذنه بأن قدماه حماران غبيان أقنعهما بأن يقوما بمسيرة احتجاج أبدية ضد العوالم الساكنة..!.

بعد فترة مللت من مراقبة معطفي وذهبت لمقهى الإنترنت, وتشنج وجهي بحجة الابتسامٍ أمام صديقي (مصطفى) الذي أشار صوب أحد الأجهزة وطلب مني وهو يعد كوب الشاي أن أكتب عنه. جلست أمام شاشة الجهاز المغلقة وأشعلت سيجارة لأقيس بها الزمن.. وهناك شاهدتني (أشاهدني)..! فذهلنا كيف استطعنا أن نفكر بنفس الوقت عن نفس الشيء..!!.

بعد أن توسطت الجمرة جسد السيجارة خرج من الشاشة الرجل الذي لا أعرفه,وسلّم علي بحياء وهو يرتدي معطفاً أسوداً, بوهيمي النسيج عبثي المنشأ حاكه شتاء ميكيافلي وألبسه لرجل قرر أن يكون (هو) ريثما يجد شيئاً أفضل.. وجلس في مكاني وكتب في مربع أبيضٍ وصغيرٍ هذا الموضوع.. ثم ضغط على أيقونةٍ صغيرةٍ كتب عليها (انشر)..

ثم خرج من المقهى وهو يردد " من اجل الكون الكائن.. سأكون الكائن الكوني.."

.

.

بعدها أصبح أنا.. وتركني أهيم حائراً في شخصٍ آخر.!!

6
أنتخب قلبك..

شيء ما ينبعث من عقلي فيرتطم بالسقف ليهطل عليّ.. انتشلتني وهربت من لوثة الحبر.. خرجت من الغرفة والأشياء تنبعث مني.. لتحول كل شيء تصادفه إلى ورق.. كانت كائنات مهيبة رغم وداعتها.. تحوم حول غيمة من الضوء يصنعها مصباح مشنوق على السقف.. تشرب النور وترقص مبتهلة مع المصباح الشاحب كلما أرجحه الهواء.. كفت فجأة عن الرقص وشاهدت بعضها ينبع من بعضي.. فتحولت إلى طائرات ورقية وأخذت تقصف قلبي المضغوط تحت كل هذا الكون بآلاف العبارات التي لم أجرؤ يوماً على نطقها.. بعدها أطفأت المصباح برعب وأسندت رأسي على كتفي ونسيت تعابير شقوتي في اللحظة التي تعادلت بها كفة النور مع كفة العتمة.. إني مسجون داخل المصباح.. أعيش اللحظة التي لم تحدث بعد.. فأتوهج حلماً.. ولو لم تكن تراكيب البوح في صدري "شفافة".. غير مدركة للضوء.. لأصبحت شيئاً يشبه الوسواس.. نزع من نفسه وغرس في ورقة.. ليشتعل..!!

إني أبحث عن شيء من الحقيقة.. الحقيقة التي تسير حافية على رؤوس شكوكنا المدببة.. وتنزف رغباتنا ما بين ارتعاشة حزن وهمهمة كآبة.. وتربط الحق بالحلم والحلم بالأمل.. والأمل بثلاثة أحرف ذهبت صوب غد لن نكون فيه.. إن الحقيقة كلمة ناقصة.. ومشوهة.. تبحث في ركام الذين نًحبهم عن أحرف لتنطقنا بها.. فتنفجر.. تصرخ.. بأسمائنا.. أو بما تبقى منها.. لم تعد جغرافية القسوة قادرة على منع الروح من السقوط من قمة العقل لقاع القلب.. ولم نعد نبحث عن كينونة غريبة لنكونها أو لنسخر منها.. إننا نبحث عن أيدٍ ليست لنا لندفن بها أصابعنا التي لا تشير إلينا..!!

لقد مللت اليوم المكرر كل يوم.. نفس الوجوه التي رأيتها.. سأراها.. وحتى الصور التي تذرف النسيان "لحناً" أصبحت تستعمر الذاكرة.. كل شيء يحدث مرتين.. يتسلل الزمن ويهذي عن النشأة والفساد في أذن المكان بالمرة الأولى..

فتهشمه خطى التائهين بين عقاربه بالمرة الثانية.. هكذا تحدث الأشياء لتضيع.. ولا أدري أي جزء من "الحدث" أسكن.. ولا أبالي.. لذا أبتسم بخيبة وأدحرج ساعات الصباح من محجر الفجر وأنفث حمرة الغروب دخاناً أزرقاً لأدفع به أشرعة العمر نحو المساء.. إني كائن مليء بالكذب وأضحك بسعادة حين أدرك هذا.. الكل مثلي تماماً.. إن تلاقت ذرات "الشبه" فيه تفاعلت وأنتجت ملايين الاختلافات.. إننا نختلف جداً.. كلنا نختلف "جداً " .. لذا نتشابه.. "جداً"..!! ..

إن العبارات الرنانة غير قابلة للتكرار.. لذا تلبس ثوب القناعة لترضي غرورها حين " تكرر".. والقناعة بالأصل ليست مبرراً عقلانياً لارتكاب الحماقات الجديدة..!! مثلاً لو نزعت الجاذبية من عقلي وصنعت ثلاثة أفكار وهززتها لتعوم في كون مليء بالاستفهامات.. ثم تخيلت بأني جندي مخلص أنهض صباح كل يوم وأحمل البندقية لأهش بها الذباب عن وجه الوطن الذي يحاول كل يوم جبر انفه.. وبعد انتهاء العمل أعلق البدلة وأنظف "البسطار" من دنس المدينة وأرفع النياشين المعلقة في مخيلتي وألبس " الثوب " بخجل.. وأتحول إلى " مدني حتى إشعار آخر " قادر على أداء التحية العسكرية لأي نجمة معلقة على كتف السماء..!!

(...)

قبل هذا الدجل كله ..

كان الفكر مزيج من الوعي والصخب.. مزيج ممنوع وخطر قادر على اختراق حاجب الرؤى المحرمة, وكان التاريخ حدث ينساب بعشوائية على الورق.. قبل عام رأيت في المنام أن السعادة لحظة محايدة في انحناءة الزمن.. وبعدها صرت أحلم بأني أعمى.. والآن لا أملك ألا يقظتي الرديئة.. ولا أستطيع أن أتجاوز بها كل هذا الخراب الذي يحاصرني من كل جانب.. العمر بحر.. والفكر سفينة.. والقلم مجداف.. وأنا اليأس.. فلمْ " أجدف " لأقترب من " وعد " ولم أفعل لأبتعد عن " وعيد ".. كنت فقط ألملم الماء بيدي أخاف على الجفاف من الغرق.. وحين أنقذته صرت ملوثاً بالبلل.. فلم نعد نهتم ببعضنا بعدها.. أصبحنا نقيضين.. نتقابل على عتبات الماضي ليأخذ كل واحد منا أشياءه التي تركها في قلب الآخر. نقـزّم اليوم بأربع وعشرين ساعة.. ونهرول نحو الغد لنخبره بأننا لا نتشابه..وأن الاختلاف وسواس أستحوذ على عقل الوجود.. كنا

شيئاً واحداً ولكن بعثرتنا مؤامرة النصف..

صديقي أيمن يضحك كلما قبض علي متلبساً بالكتابة.. أخجل دائماً.. لا أدري لمَ.. الكتابة لا تدخل ضمن نطاق كلمة الـ"عيب" المقدسة ولكنها تدور حول حماها.. أكان يضحك ليحذرني من الدخول في نطاقها؟.. أم كان يضحك لعلمه بأني سأكتب عنه حين أشاهده بقلمي..؟ أيمن هذا الكائن المليء بالحقيقة وقصص الحب أخبرني ذات تجلي بأن الإنسانية هي الوجه اللطيف للعجز.. وأن العجز ليس الـ" عيب ".. وأن العيب ليس الإنسان.. وأن الإنسان ليس آلة بيولوجية..!! كان أيمن يضحك حين أكتب.. وكنت أهذي حين يضحك..و بعد أن نفترق كنت أكتب الهذيان لحناً.. ليشنق عليه ضحكاته.. لا أنا أصبحت كاتباً ولا هو أصبح سعيداً..
..
فعـلاً..
ما فائدة الأشياء المقنعة إن لم نحبها.. وما فائدة الأشياء التي نحبها إن لم نقتنع بها..!!

7
تعال احتضن قدرك..

كان يا ما كان..
رجلان (جاحد و حامد) وكنت أنا الشخص الجالس بينهما .. مرة أشطر الذرة لأبحث عن إجابة ومرة أجمع الكون بفمي وأنا أنطق اسم " اللّه " سبحانه .. ما كنت جاحداً ولا حامداً .. كنت دائماً أنا .. أي الشخص الجالس بينهما .. إلا أنهما غادرا فبقيت وحدي لا أدري من أنا.. !!

ثم فجأة " كان يا ما كان "
شاب معدم وصعلوك حتى النخاع.. يؤمن "بالبراق" ويشك بذهاب الأمريكان للقمر.. يكتب لمن يبالي ؛ أن الغباء البشري هو الانعكاس العقلي للظلام .. لذا نفكر كثيراً حين ننظر للنجوم ..

إن " شهرزادي " معطوبة ومزورة .. مثل تاريخنا وواقعنا.. وبقية أشيائنا.. لذا أعتذر عن ذكر "كان يا ما كان " في مكانٍ لم يكن فيه أي شيء ..

حين أخلع النظارة لا أرَ.. أصبح تائهاً ومخدوعاً بالصور المشوشة .. ثم تبدأ الأشياء ترتطم بي بقسوة .. أحياناً أقع وأنهض بسرعة لأنفض ثوبي بطريقة لا إرادية .. وأحياناً أشعر بعقارب الزمن وهي تلدغ عمري .. فيسري سمّها في دمي البارد .. لذا أنام بها .. كي أعيش حلمي بوضوح..

أعلم ألاّ أحد يبالي بأحد , ولا أحد يهتم بمصير أحد , وأن الكل غارق في شؤونه الخاصة , والتي لا تتجاوز سنتيمتر مربع واحد في عقله؛ ومثلهم أنا لا أبالي بأحد ولا أهتم بشيء حتى لو كنت أنا هذا الشيء .. ليس من منطلق عدمي ولكني مجرد كائن منهك جداً.. ولا يهمني تعريف نفسي أو شرحها بالمصطلحات العلمية بقدر ما يهمني التصالح معها.. أريد أن أكون سعيداً ولو للحظة, حتى لو غيرت الخريطة وأزلت الحضارات وأنهيت اتحادات الأمم .. هكذا

فكر الملاعين وهكذا سيطروا على العالم , مع أنهم أغبياء وجبناء وليس عندهم قرآن ولا نبي أسمه محمد إلا أنهم سيطروا على العالم بكل بساطة ووقاحة .. لأنهم فكروا باللحظة وعاشوا فيها .. لذا سأفكر في اللحظة وسأعيش فيها... سأصلي لأني أثناء الصلاة فقط أتمنى أن أموت.. سأقول الحقيقة لأنني حين أقولها أكون من كائنات الحقيقة .. سأعيش اللحظة وسأعبر عما أريد, وليذهب الكل أثناء هذا إلى " لحظته " الخاصة ليرتكب فيها نفسه بأفضل طريقة ممكنة لأنه سيعيد تمثلها فيما بعد أمام اللّه العظيم خالق كل هذا والمتحكم بكل شيء نعرفه وكل شيء لا نعرفه..

نحن كبشر مجرد مخلوقات مفكرة , وكمسلمين قصة صراع هائلة بين العمل والنتيجة وبين الحق والباطل وبين العقل والنفس والممكن والمستحيل .. أي أن الإنسان يفكر في كل هذا ليتحول لكائن كئيب ولكن الإنسان المسلم يعيش كل هذا فيتحول إلى مخلوق سامي كئيب بمعرفته وسعيد بجهله, لا يعيش لأنه ولد فقط , ولكن يمسك الدنيا من ناصيتها ليسوقها بعظمة لدرب اللّه..

لا نحتاج لأي "حبكة" لندس أنفسنا فيها .. إننا هنا شئنا أم أبينا , وقوانين الكون ونواميس الوجود تدفعنا منذ الولادة نحو المشيب .. لذا نحن هنا .. دائماً وأبداً.. أي في المكان الذي تبدأ فيه الحكايات وتنتهي .. لذا حين أنهض أعلم أنه أحدهم قال أو كتب أثناء نهوضي " ثم نهض فلان من النوم .." أي أني أنا المؤلف والمخرج والبطل .. لذا أحاول أن أؤلف قصة تقرأ في الجنة بدل أن توضع بأحد رفوف جهنم..

إن الحكايات التي لا تبدأ " بنا " لا تنتهي معنا.. والحياة حكاية طويلة.. ونحن فيها مجرد شخصيات قرر البعض منها " أن يكون " والبعض الآخر فضل " ألاّ يكون" .. وهي مجرد كينونة أخرى إلا أنها لا تليق بمخلوق مفكر يعلم أن كل شيء خلق ليقوم بعمل محدد , ولزمن محدد , وفي كينونة محددة , ومن أجل هدف محدد .. وهو النفاذ بسلام من عالم الزوال إلى عالم الأبد..

8
لأن اليـوم جمـعة

كان الإمام يدعو للمسلمين في كل مكان لأن المسلمين وفي " كل مكان " يعانون الأمرين في " كل مكان " أيضاً..!! كنت أمثل دوري كمسلم أصلع وصعلوك داخل الجامع الكبير والمزدحم.. وأتمنى لو أتيت مبكراً لأجلس قرب "المكيف" حتى أتسمع لخطبة السيد الشيخ وأنا " مكيف "..

بعد أن نظرت لمستوى كتفي أما مستوى كتف الشخص الذي يتخذ الوجهة اليمنى كوطن له.. أدركت بأنه عملاق " جداً " ولا أدري حقيقةً إن كان هناك (عملاق ليس " جداً ") في أحداق عيني القزمتين.. فجأة بدأت موسيقى غريبة تتراقص في حرم جمجمتي.. كانت أشبه بمعزوفة عسكرية.. بدأت أحوّل حديث الإمام الممل إلى خطابات نارية لنفسي.. بعدها تخيلت بأني هببت واقفاً وصرخت " اللّٰه أكبر ".. كانت كيمياء جسدي مضطربة.. لذا أطلقت دون أن تعي عناصر العزة فانتشرت النشوة في أرنبة أنفي.. شيءٌ ما لا يسير على ما يرام .. !! سأعيد النظر للأشياء مرة أخرى.. ولن تمنعي النظارة الآن عن دفن وجهي في راحة يدي.. أظن أني غفوت قليلاً.. لذا نهضت كالملدوغ حين قال الإمام (أقول قولي هذا..إلخ) متسائلاً إن كانت تلك "غفوة " تنقض الوضوء أم أنها " مجرد غفوة يا أخي " .. على العموم أمر اللّٰه من سعة..

بعد الصلاة كنا " كمسلمين " نتراشق بالنظرات والبعض الآخر ينظر ناحية الباب بخبث استراتيجي رهيب.. صديقي العملاق جداً كان يسبح ويهلل ويعطس كثيراً .. وكنت أسبح وأهلل وأشمته كثيراً .. حتى مللت من قول " يرحمك اللّٰه " عشرين مرة في المرة الواحدة ..!! كانت مشاعري مبعثرة على سجادة الصلاة التي ترسم خطى الذين وقفوا عليها.. كنت أنظر للإمام وهو لاه بعد حسناته.. والناس تتكئ على مشاغل دنياها وتغادر المسجد.. هناك مسلمّون كثيرون في كل مكان في العالم يفعلون نفس هذا الشيء بعد كل صلاة جمعة وفي قلبهم حسرة على أهلٍ ماتوا في فيضان أو عرض هتك في حرب أو شرف علق

بالمشنقة.. إن حياتنا بائسة جداً.. حين نكون مسلمين فقط .. هكذا دون " جداً " ..

خارج الجامع كنت أنظر للجح " البطيخ بالفصحى " نظرة ذئبية عميقة.. أفكر في حجمها وفي حجم الثلاجة .. ثم أني تعمقت كثيراً فبدأت أرتب الأشياء في الثلاجة وأنا واقف على " باب اللّه " وبجانبي أربع " بطيخات " ومسلم قطع نصف مسافة الدنيا ليبيع مساويك (جمع سواك أو مساوكه .. أو شيء من هذا القبيل)..!! لقد قررت أن أشتري " بطيخة " وأتصل على (ست الحبايب) لأني مسلم ولأن اليوم جمعه..!

9

حرية مالحة..

أريد قطعة صغيرة من السلام لأضع فيها رأسي وقطعةً أصغر من الزمن لأقف عليها بقدمٍ واحدة..
.. لأن أشيائي تُشبهني وكأنها تأتي رغماً عنّي :

كانت السمكة الذهبية الصغيرة تـُقـبـّـل الحوض ذهاباً وإياباً, والسمكة الأخرى الضخمة ذات اللون البشع تتبعها محاولة إقناعها بأن الحرية لا تشترى بالقـُبل.. أدخل يدهً في مخيلته وأخرج محفظته.. بعد دقائق غادر المحل حاملاً السمكة الصغيرة بكيس شفاف.. نزل إلى الشاطئ وسار حتى وصل الماء إلى ركبتيه.. فتح الكيس وًترك السمكة تقفز إلى البحر.. كان يشاهدها وهي ترقص بجنون ويضحك حتى تخرسه نوبة السعال.. شيئاً فشيئاً توقفت السمكة عن

الرقص.. عن الاحتضار.. تخشبت وبدأت تصعد إلى السطح.. كانت تطفح كجميع الأشياء الرخيصة.. كانت ترتكب موتها بكل لحظة لتتحول إلى رعشة أزلية.. وضع أذنه على قلبه وأخذ يبكي .. فجأة انتفض وصرخ بألم..بغضب طفولي.. (لا ! لم أقتلها.. إنها.. لا تجيد السباحة..!)
خرج من البحر وهو يردد برعب (.. روح عذبة)
بعدها.. دخل في رأسي ولم يخرج أبداً..

10
ذاكرة ناكرة

وحده من كان مليئاً بالدمع والغضب والزفرات المكبوتة.. يقلب كفيه بحسرة وينظر لأحد أبنائه الذي كان يعصر أطراف أصابعه ليدلل بابتذال رخيص عن فرحته بحضوره.. كانت الأعين ترتفع وتتوقف أمام جبينه المتخم بعبارات التصنيف (عاجز.. خائف.. حزين..).. يود لو صرخ.. لو مزق ثوبه وخرج يركض بقدمين ليستا له.. يئن كرسيه اللعين من جديد فيصمت وأكف أنا عن الكتابة..

لست بمجنون, ولا أعاني من أي اضطراب.. كما أني لست بالتعيس الذي يسير بمحاذاةً نفسه كل يوم.. إني أتركها بغرفتي لأعتمرها قبل أن أنام, لقد نصحني صديق قديم قبل زمن طويل ألاّ أنام بنفسي.. مع أن صديقي هذا مات مختنقاً بنفسه وهو نائم.. إني الآن لا أكتب (كما لا تلاحظون) ولا أدري لمَ أطفأت سيجارتي الشابة لأعيد إشعالها بعد أن اكتسح الرماد رأسها.. كل هذا لا يهمكم ــــ على عكسي ــــ ما يهم الآن هو استكمال المشهد الدامي الذي

يخلق نفسه ذاتياً في الغرفة المسماة مجازاً بـ"مجلس الرجال".

هاهو الكرسي يتحرك من جديد وعجلاته تدور لتهرس الأسئلة الرطبة المرمية في طريقه :
(إلى أين يا خالي / يا أبي / يا.. ؟..) تجاهلهم ودفع الكرسي وحين نهض أحد أبنائه ليساعده أبعد يده بعصبية ونظر له بغضب.. خرج من الغرفة بعد أن رمقني بلا مبالاة.. بعد دقائق اتكأت على كرامتي وخرجت بهدوء وحين التفت إلى الخلف شاهدت هامشيتي وهي تمسح خطاي التي تركتها عندهم.. حين وصلت الباب الخارجي ناداني بنبرته الآمرة المقيتة (عد) توقفت ونظرت في عينيه.. صرت أغوص فيهما.. فجأة تدحرجت دمعه من عينه البخيلة وصارت تهبط وتجر معها رأسه.. لقد سقط أخيراً وتفتت كالتمثال..
تركته وخرجت مبتعداً بعد أن تأكدت بأنه أصبح مجرد أثر لحقبة زمنية بائدة..

11
الرقص تحت المطر

(..والدخان يرتفع حتى تحتضنه قطرة بائسة فتختفي معه)
"عجز عن تبرير الغاية !"

,
وكأنه حوار يشبهك, إلا أنه أنا فقط.. محبوس بين أزلية الجهل ومشكلة "الأبعاد"
هنا لا أتساءل فقدرتي على الجواب أضعف من يقيني بكذبي, ومع هذا

أتساءل..هناك!
وحشية الوصف تطردني لحياتك المحبوسة "قسراً"
..عسراً ويسراً
دعني أعيدك للأعلى..
معلقاً بمسمار
فيبدو أننا لسنا إلا لحظات لإفلاس لحن..
"دمـــــت" بألف إطار..!
....
(..قال كليلة لدمنه: إن طلع الصباح فلا تسكت عن الكلام المباح)
" زخم لا يشبه إلا شهرزاد"
,
محاولات لإشعال الثقاب..ونسب من النجاح والفشل
انتصارات صعلوكية بائسة
هي طور آخر متردي لأفضلية التلاشي !
..حملقة بأداة الاشتعال؛ يرقبه تردد متجدد
..هي مصفوفة معقدة أعطيت نواتجها لطفل
قرر بعدها أن يرمي كتاب الرياضيات
بعد أن عالجها بقانون:
" أبالي..لا أبالي !"
....
(.. فصرخ جلجامش بوجه إله الظل: إني موحد!)
" قوة دليلها الضعف"
,
إنه هنا.. ينخر ثباتي بعشوائيته !
يظل جاثماً..
كغباء سخي يتجاهل سطوة الموت
هو قصص مبعثره ما قرأها إلا الزمن
وما صنعها إلا الزمن
يتكاتف معهم ليصنع سيراً ناقصة

..فحروف صغيرة بكتاب أكبر !
كغرابة الوصف يأتي.. يدهش ..ويخدع
إنه يبقى ما حييت..

12
السنـدان وأشيـاء أخـرى

"الـــيـــــوم" :
يضع أبو سالم فنجان القهوة على مكتب "صالح" وهو يثرثر عن قصة لم ينهها بالأمس. ومع تعمق الأخير في قصته يتشكل وجه صالح.. انتهت قصة القهوجي المطعون في صحتها وتحول وجه "مدعي الاستماع" إلى رسمة سريالية رخيصة مبررها عدم معرفة السريالية!.. يقول صالح وهو يحاول النظر إلى "اللاشيء"
ـــ أنت تكذب يا أبو سالم... أنت جهاز ضخم مخصص لإنتاج الكذب... أكاد اقسم بأنك إذا أردت أن تذهب إلى الحمّام تقول بأنك ذاهب للمطبخ..! حتى قهوتك السوداء تكذب مقتدية بك!.. تغير وجه القهوجي وأخذ يمسح المكتب بيده شاهراً وسواسه القهري
ـــ كيف تقول لي هذا ؟ لم تكن من قبل بهذه الوقاحة... لا .. أظن بأن غبار الملفات سبب لك لوثة..
ـــ إني أتذكر كل كذبة قلتها..وكل كذبة لم تقلها بعد...من العجيب أن أتذكر أمور لم أعرفها...!
ـــ ها أنت تتخبط كالمجنون من جديد ! كيف تتذكر مالا تعرفه بالأصل يا رجل..؟

ـــ لا أعلم... ولكني لا أستطيع أن أنسى مالا أعرفه بسهولة..!
ـــ لا حول ولا قوة إلا بالله...!.

"الأمـــس" :
"سبب شقاء العالم اختلاف وجهات نظر سكانه" يتذكر مقولة عمه ويتحسس وجهه مستشعراً أول صفعه أثبتت تلك المقولة. يهمس للجدار... للصدى الميت (ماذا لو تحالف العالم ضدي.. واتفقوا أن ينزعوا "قطعة اللبان" عن سقفي في يوم ممطر؟!).. يدفع الحبة برشفة ماء ويستلقي على الفراش. ما أن علم الصرصار"الريفي" بنية شريكة حتى سارع بعزف مقطوعة "صرصور نابولي".. بعد دقائق بدأ صالح يبحث كالملدوغ عن "المايسترو" أخيراً أكتشف مخبأة . أشعل ورقة صغيرة وأدخلها بالجحر.. أنتظر دقيقة ليتأكد من انتصاره..أو من هزيمة شيء فيه !.. رمى بنفسه على الفراش وهو يضحك (هذه طريقة سيئة لإقناع السيد المايسترو بالصمت... لا الأمر السيئ هو الترحم على صرصار بعد 13 ساعة من العمل! السوء يكمن في ساعتي البيولوجية الغبية التي ترفض النوم كل يوم..! السوء هو تناول حبوب خفض الحرارة على أمل النعاس !). بعد ساعة يبدأ جاره بالشجار مع زوجته. تفتح الزوجة النافذة وترسل اللعنات على زوجها في الهواء الطلق . يدفن رأسه بين ذراعيه (لعل زوجته اكتشفت بأنه كان يختبئ داخل كبريائه منذ قرون !). ينظر إلى الساعة.. لم يبقى على صلات الفجر إلا ربع ساعة.. (سأنام بعد الصلاة.. مللت تمثيل هذا الدور كل يوم ! متى سأعترف بأني لم أنم أبداً قبل صلاة الفجر؟).

"الــغـــد" :
يضع أبو سالم الفنجان ويغادر بصمت.. ينهض صالح بسرعة ويقف أمام الملفات.. يدفع الرف بقوة! فتتساقط الملفات على الأرض ينادي أحد الموظفين المدير
ـــ صالح ! هل جننت !؟.
يصرخ وهو يرمي الملفات
ـــ سبب شقاء العالم اختلاف وجهات نظر سكانه!!

ينادي المدير الأمن فيمسكون به بشفقة ويصعدون به إلى المدير العام.
يتحدث المدير العام من وراء الباب
ــ أعطوه مستحقاته وأخرجوه من هنا..
يفتح الباب أحد الموظفين ويدخل الغرفة فيلمح صالح وجه المدير العام...
ــ المدير أبو سالم ؟ المدير أبو سالم !!
يهمهم موظف الأمن بألم " لا حول ولا قوة إلا باللّه".

يعود لغرفته يلملم أغراضه فجأة تفتح النافذة ويسمع جاره يبكي وزوجته تحاول مواساته.. يستلقي على الفراش ويضحك... ويبكي !. تجتمع كل صراصير الدنيا المهاجرة في حقائب أبناء القرى وتعزف أمام جحر المايسترو معزوفة الحرب والسلام.. يستمع لها.. ولدموعه..ولهواجسه القديمة... ويردد مع الأموات والأحياء (لن أعيش في السطوح العاكسة).. فينام..

13
أنشودة للبؤساء

.. ثم إنهم ذهبوا
وبقيت كالوتد.. أبحث تحت الأرض عن شيء لم أجده فوقها
فرحت أسابق قوافل النائحين مغنياً معهم :
رحم اللّه الديار , تدعونا كالسراب لنشرب نخب الخيبة على طول الطريق
وإن وصلنا.. تداركنا بعد الصحوة أننا كنا سكارى.. نهذي عن الديار !
.

نخاف الزمن..
والفقر والألم
.. والليل والأغاني الكئيبة والدخان
نخاف أن ننطق أسماء الأحبة "ذات ذكرى"
..ونعصر الظهيرة في فم المساء إن توجسنا البرد
.. نشرب البحر صارخين " أنت الكذب ونحن العطش"
.. يحدث هذا مرة في كل قرن
ونحن في كل قرن "هذه المرة"
ثم إننا بعد أن نطوي أمنيات الوصول ..ورغبات التوقف
نفترش "الذات" وننام
.. ولا نستيقظ
ولا الزمن يستيقظ

,

ثم إن أحكمنا يقول :
..الأمر كله أن الحياة حلمت بنا ثم ماتت بالمنام
فبقينا حلماً معلقاً بين ملايين الأضداد

.

ها نحن نكف الآن عن النحيب
لا لخجلنا.. بل لضعفنا
نخاف أن ننهار هنا .. أو في أي " هنا " آخر !

,

.. ثم إن أتعسنا يقول :
لا تخافوا..
أنا من خلفكم أتمتم عن هذا في كل خطوة
.. بيدي قهوةٌ باردة .. وفي رأسي مزاجُ غريب
أهذي بين ضلوعكم حتى يبتلعني الضجيج..
متخفياً.. كشيطان الشعر
إذا انتحر الشاعر..!

,

.. ثم إننا نردد معهم :
إننا "نحن" في كل ثانية من الزمن المتوقف ..

14

لن نحلم.. لن نفيق..

روايتي المشتتة بين زوايا الغرفة تشعرني بالخيبة والوحدة.. أضحك بتوجس.. وأعيد تجسيد مشهد النهاية المؤلم والجميل.. العود مسند على مجموعة من الكتب.. أسير نحوه وما أن أمسك برقبته الطويلة ترتعش يدي وتسحبني دوامة الإحباط إلى البعيد.. أرتمي على الكرسي الصغير وأبحث عن ورقة بيضاء..

ـــ ماذا لو..

أضع يدي على فمي وأصمت. بعد دقائق أنهض وأجمع روايتي المبعثرة وأعيد تصفيفها بحرص.. أحكم شدها بالمشبك وأفتح أحد الصفحات وأقرأ (عندما يموت ذو الأسنان الذهبية, سيكون منجماً للنمل) أسحب الدبوس وأرمي الرواية لتتبعثر على أرض الغرفة المتسخة.. يرن الهاتف للمرة الألف, أنظر للرقم الظاهر على الشاشة الصغيرة بكسل..

ـــ ألو.. لمَ لا تجيب..؟

ـــ كنت نائم..

ـــ أنت تكذب..!

ـــ مع السلامة..

بعد ثواني يرن الهاتف.. أضع رأسي على الهاتف لأستشعر الرنين وهو يسري كالشيطان في دمي.. يثقل جفناي وتبدأ رقبتي بالاهتزاز كشجرة تشير إلى السماء في ليلة وادعة..

ـــ ألو.. لمَ أنهيت المكالمة..؟
ـــ كنت نائم
ـــ يا إلهي.. إن هذا أسلوب رخيص ووقح..
ـــ مع السلامة..

لم يتوقف الهاتف عن الرنين..

نهضت ببطء ورتبت الورق المبعثر بكسل متمنياً أن أعود ولا أجدها.. ثم رسمت ابتسامة باردة للرقم المبعوث في شاشة الهاتف وخرجت ..

بين يدي الموج
صوتٌ رتيب.. يشعرني بالتوتر.. بالغثيان.. كل شيء هنا يحدث من تلقاء نفسه..أي مؤامرة يبثها القمر بين طيات الموج.. أي نِّداءات يود رسمها على الزبد.. لم تعد تخيف أحداً بالغرق أيها البحر.. لقد تم ترويضك كسائر الأشياء.. إني مثلك تم ترويضي وصرت إنسان مستقبلي قابل للطي والحمل لأي مكان.. إني أتنفس غضبي أمام موجك المؤمن بالوصول الخرافي.. لأقطع الطريق على الصدور الجشعة.. أنت تعلم أن الهواء كالأماني المتسخة؛ غير قابل للتصنيع.. هو خطأ جماعي.. هو أحدب لا يحب قرع الأجراس.. هو كابوس مشنوقٌ على الأبواب المشرعة لعودة الأرواح الممزقة.. إن هذه الأشياء تتفجر في رأسي أيها البحر.. إنها ذكريات مبتورة..إن رأسي الأعرج يبحث عن أرض لا تبالي بالحقيقة..! أين أجد مثل هذه الأشياء أخبرني..؟
أتخيل طفلان يركضان خلف قط مذعور.. ورجل حالم يحاول إشعال سيجارته.. وطالب يستعرض قدراته عن طريق قراءة كتابه بالمقلوب..لا شيء سيجعلني أتوقف عن تبرير الكذب بحجة المخيلة.. إلا إن غامر البحر وأشهر الشمس أمامي..
لقد حدث هذا..!

إن الهواء الذي جعل إشعال سيجارة الحالم ضرباً من الخيال والذي زج بكل لعناتي إلى اليابسة, هو نفسه من يداعب شعرها برقة.. وكأنه يحاول

أغاضتي.. نظرت إليها بعصبية وكأنها سبب هذا البؤس المنقوش على رأس السيجارة الخامدة..إلا أن شعوراً بالأسف والخجل بدأ يستشري في صدري.. كانت تجلس وحدها وتعبث بشيء في يدها..هذا البحر الذي كنت أحسبه ينصت لشتائمي كان في الحقيقة يستمع للقصائد التي تتلوها له.. التفتت ونظرت إلي.. أشحت بوجهي وهربت بناظري .. كانت فكرة النظر إليها ترعبني.. أخاف أن أظهر كشيء أبله.. كالبحر.. كالمحفظة الفارغة..!
حين عدت إلى غرفتي لملمت أوراقي ورفعت الوسادة المثخنة بالنوم وأخرجت أحد فصول الرواية من تحتها.. فجأة رن الهاتف, نظرت للرقم ورفعت السماعة
ـــ ألو.. إلى أين ذهبت..؟
ـــ.. للبحر
ـــ بحر في الرياض..!

تركت السماعة تسقط من يدي وألصقت ظهري بالجدار وبدأت أنزلق حتى وصلت إلى الأرض..
أخذت الرواية وبعثرتها بالهواء..
كان الصوت يخرج غاضباً من السماعة
ـــ لمَ لا تجيب..؟

نظرت للورقة الأخيرة.. رفعتها وقرأت :
اجلب عينك للنور..
وتأمّـل آلاف النظرات
ثم ترحّم..
قل لي أنك تعرفني..
قل لي أن الموت لا يركب السفن خوفاً من الغرق
..لون لي غربان الميناء
ثم اهمس في أذني :
(..ألـّفـتـك)
وإن مللت أكتب على شاهد قبري :
(تــمّــت)

كان الصوت يخرج من سماعة الهاتف مخدوشاً ومبلل بالدمع
ــ هل أنت بخير..أهو حلمٌ آخر بشع ..؟
رفعت السماعة وقلت بصوت منخفض
ــ لا..
إنها يقظة أخرى مؤلمة..

15
هذيان على ضريح الوعي

في هذا البعد نفس الأشياء التي نراها ونعيشها كل يوم, إلا أنها تحمل غايات أخرى مختلفة تمام الاختلاف, لذا ستدور عقارب الساعة إلى الأمام ومن ثم إلى الخلف.. بالأصح في هذا البعد لا يوجد معنى للخلف و لا للأمام, فلا أحد يتشارك الاتجاه مع شخص أخر.. تمنيت لو أستطيع تدليل هذا السرد بالتاريخ ليصبح النص ذو طابع عقلاني, ولكن العبث متجسداً بنفسه لا يجد بتلك الاستدلالات أي فائدة !.

****

(عقدة الرؤية..)

في قاعة الاجتماعات نقاشات حامية بين المدير الطبي وعضو المجلس.. المجلس ككل منقسم على نفسه, فمنهم من يرى وجوب التكتم على هذه الحوادث الغريبة المتكررة كل يوم, ومنهم من يفضل التحدث بصوت مسموع عن هذه الظواهر العجيبة. كان الرئيس يحدق بملل بسيجارة أحد الأعضاء ومن ثم ينظر إلى

الشعار المنادي بترك الدخان.. كاد أن ينفجر ضاحكاً يوم تذكر أن هذا الشعار كتبه العضو صاحب السيجارة!..أخيراً ضرب الرئيس على طرف الطاولة وقال بهدوء

ـــ نهاية الاجتماع يا سادة..

نهض أعضاء المجلس ولما هموا بالخروج , قال الرئيس بسرعة

ـــ توقفوا..

أنهى كلمته وتوجه صوب النافذة.. تفرق أعضاء المجلس بين النوافذ الكبيرة وذهلوا وهم ينظرون للمقاعد المتحركة وهي تدور من تلقاء نفسها في الساحة الخلفية للمبنى.. قال أحد الأعضاء بذعر

ـــ وما هو المسمى العلمي لهذا "الشيء" يا سعادة البروفيسور ؟!.

ارتفعت أصوات وأيدي الأعضاء.. وضع الرئيس يده على وجهه معبراً عن خيبته وخرج من القاعة وأغلق الأضواء (كما يفعل دائماً) تاركاً المصباح الأصفر الصغير يلقي بظلال المتناقشين إلى خارج المبني.. وكأنه يطلب منهم الخروج..!

في الساحة الخلفية كان عامل النظافة الجديد يقول لصاحبه بخوف وهو ينظر إلى النافذة

ـــ أنظر يا صديقي إن تلك " الأشكال " الغريبة تعاود الظهور..

هز صاحبه برأسه وتابع دفع المقعد.. لحقه الأول وهو يردد

ـــ أنظر.. أنظر !..

توفق العامل "المخضرم" عن دفع المقعد ووضع يده على كتف صاحبه وقال

ـــ هناك أمور لا يرد الله لنا أن نراها.. فمن الأفضل أن لا تراها ولا تفكر بها..

بدأ الخائف يدفع بالمقاعد وهو يردد

ـــ .. إني لا أرى شيء.. إني لا أفكر بشيء..

أحد المرضى المنسيين وحده من كان يهمس بألم وهو ينظر إلى السماء

(سبحانك.. إنك تراني.. وتراهم..)

****

(أشياء مربكة)

هنا لا تكتفي الأشياء بتقمصها الشخصيات الخاطئة فقط بل تتجاوز هذا وتعمل على خلق فضاءات أخرى للفوضى..فالنقص فيه يظهر بشكل ازدياد غير مرغوب فيه.. والرغبة تتعدى درجة الحاجة لتصل إلى مرحة الضرورة.. فقوانين النشوء والفساد قد تتبدل في أي لحظة.. لذا وجب التنويه أنه كلمة " هناك" مجرد وسيلة هروب خيالة..

ـــ هل الشماغ يعتمر ؟
أنهى الحلاق سؤاله ونظر إلى الزبون.. فكر الثاني قليلاً وقال
ـــ نعم يعتمر.. ما هذا السؤال ؟!
توقف الحلاق عن تمرير المشط وقال وهو ينظر إلى المرآة
ـــ أنت لم تفهم سؤالي.. كنت أقول , هل يصح أن أقول (اعتمر فلان الشماغ) ؟
هرش الزبون ذقنه وصمت.. تابع الحلاق عمله وهو يسترق النظر إلى المرآة عل صاحبه يتحدث.. فجأة قال الحلاق بغضب غير مبرر
ـــ فليذهب هذا إلى الجحيم !.
دهش الزبون من غضب الحلاق وقال متسائلاً
ـــ ويحك ! لمَ تبدل حالك ؟
صمت الحلاق برهة ومن ثم وضع المشط وجلس على أحد الكراسي وقال وقد امتلأت عيناه بضوء عجيب
ـــ قد تستغرب يا صاحبي ما سأقول, ولكني فعلاً لا أجد أي دافع يحثني على متابعة الحلاقة !.. وكأن هذا العالم صنع لغيرنا.. فما يحدث لنا لا ينسجم مع معرفتنا ولا مع واقعنا الذي نعيشه.
أطرق الحلاق برأسه إلى الأسفل قليلاً وأخذ يدعك حاجبه كما يفعل دائماً عندما يفكر..
نهض الزبون من الكرسي وجلس إلى جانب الحلاق
ـــ أي شيء حدث لك هذا اليوم يا صديقي ؟
أجاب الثاني بصوت مخدوش وهو يصارع ألف فكرة تدور برأسه

ــــ لا أدري.. ولكنه لم يصنع لنا.. وكأني المدرك الوحيد.. إني حلاق فقط..!
توجه الزبون ناحية الباب وأغلقه ومن ثم طلب من صاحبه "فتح قلبه" عله يخفف عنه
ــــ تحدث بأبي الجيران أنت وأمهم
ارتسمت ابتسامه صغير على فم الحلاق وقال
ــــ أخبرني يا صديقي لم يأتي الناس إلى الحلاق..؟
ــــ هذه سهلة, لكي يحلقوا !
ــــ وما معنى كلمة حلق ؟
ــــ هذه سهلة أيضاً, معناها " قص".
رجع الحلاق إلى الخلف وكأنه يريد التأكد من وجود الكرسي
ــــ وأنت الآن "تقص" شعرك ؟!
ــــ أنا..
تبدلت ملامح الزبون وصمت.. نهض الـ"حلاق" وقال لصاحبه
ــــ أجب ؟! أخبرني لمَ يأتي الناس إلى الحلاق ؟ هل يأتون من أجل قص شعورهم...؟
نظر الزبون إلى الصورة المعلقة على طرف الباب وقال بعد أن حسم أمره
ــــ لا..!
شبك الحلاق يديه وسأل صاحبه
ــــ ...وماذا يحدث عندما لا يأتي الشخص إلى الحلاق ؟
أجاب الزبون بثقة
ــــ يصبح " أصلع" !!
قال الحلاق وهو يطلب من صاحبه الجلوس على كرسي "الحلاقة"
ــــ هل رأيت الآن أي عالم مقلوب نعيش فيه..
قال الزبون بيأس
ــــ لا يهم يا صديقي.. فبعد خمس دقائق "سيجعلوننا" ننسى هذا..
ــــ نعم.. سننسى بعد قليل.. دائماً ما ننسى ..!

16
تـلاشي..

مسح جبهته وأغمض عينيه.. إنه لا يحب.. لا.. إنه مشتاق فقط.. شوق جنوني حول انتظاره إلى جحيم لا يطاق.. أمسك بالقلم وسحب الورقة بعصبية .. :

عندما أتلمس ذكراك
يعجزني البوح..
فأصير نفسي ضمير غائب في حضورك
..والمأساة أنك لا تأتين أبداً
ولا أنا أمل الترقب..

أطرق برأسه وصار ينظر إلى الورق المحيط به.. كان ينظر للورق المرمي على أنه محاولات فاشلة للبوح.. سحب ورقة ثانية وكتب :
أي ابتذال يحمله الورق المجعد..؟
أخبريني فأنت ألف قصيدة لم تكتب..
وألف لغم مغروس في صدري..
قلبي عليك يا أنا..
فكلانا ذاكرة منفية في رؤوس السكارى..
..
فجأة نهض وبدأ يركل الورق المرمي وهو يضحك بهستيريا:
ها أنت ترددين بسخرية :
(إرادةَ من ورق.. ولهفة من لهب..)
حينها سأقول لدرب العودة :
(أي جحيم سأجلبه إليك..)..

كان صوته لا ينتهي على "بابها".. بل كان يطوف الحي كله..يبحث عنها.. :
أين ذهبت ..!

استعيريهم.. وتعالي..
إني هنا..
عدمٌ منثور في المرآة..
عاد صوته وهو يحمل العبارات المشروخة.. سد أذنيه بذعر وتكوم في زاوية الغرفة .. :
..اسمع ما قالوا :
أصنع من سجائرك ابتهالات من دخان..
ومت في حمى الأشياء التي لا تعد
لتكون منتهاها..
فلا نحن ندركك..
..ولا أنت أعجزك الرحيل.
حينها أغمض عينيه..
واختفى ..

17

التدحرج على التيار

يقول ابن خلدون في مقدمته (الإنسان مدني بالطبع).. إلا أنه لم يكمل غفر اللّه له لأن المصباح أعلن إفلاسه فور انقطاع الكهرباء.. متى يعود التيار مرة أخرى؟ من يعلم قد لا يعود أبداً!.. لو كنت عنكبوتاً أو شيئاً من هذا القبيل لما تأثرت من انقطاع التيار.. حتى أني لم أشاهد من قبل عنكبوتاً وضع سراجاً أمام مصيدته.. أخبرني أحدهم أن " عكاشة " هو أسم ذكر العنكبوت.. لو كنت مدير عام اللغة لجعلت أسمه "عكاش" وزوجته "عكاشة".. على العموم العناكب

هذه غريبة الأطوار.. لها ثمان أرجل ولم تفكر أبداً أن تصنع لأرجلها الثمانية جوارب ...هذا وهي تحصل على الحرير بالمجان!. لو كنت عنكبوتاً لنسجت لنفسي جوارب تليق بكائن ليس أسمه "عكاشة"..
عاد التيار من جديد ففتحت الكتاب لأدع السيد أبن خلدون يكمل ثرثرته تحت ذمة مصباح غرفتي الأصلع .. فقال بنبرته الواثقة (الإنسان مدني بالطبع ,لأنه لا يستطيع أن يوفي بثبج حوائجه). لم افهم معنى" ثبج".. طبعة الكتاب قديمة بعنف.. تركت الكتاب وبدأت أبحث عن القاموس.. فجأة وبلا مقدمات وبقلة أدب تتسم بها الشحنات المتسكعة على أسلاك غرفتي انقطع التيار من جديد.. صرت أتلمس ملامح وجهي لأتأكد بأنها لم تذهب هي الأخرى مع "التيار" .. فتحت النافذة فأريت الحي كله قد أبتلعه الظلام.. أغلقت النافذة على الفور فلا أريد أن يتسرب ظلام الحي إلى غرفتي.. تكفيني هذه العتمة..!!
ألم يفكر شخص من قبل بصناعة "مظلام" صباحي؟ إذا أردت النوم ما عليك إلا تشغيله.. أظن أن طريقة صناعته سهله.. ما عليك إلا قلب معادلة "المصباح" فقط !. من الغريب أن أفكر وحدي بهذه الأمور.. أظن أن أديسون كان يقرأ مقدمة "ابن دافنشي" أثناء اكتشفاه المصباح.. حتى الآن لم يعد التيار.. إلى أين يذهب ؟.. لا يهم سيعود.. المهم الآن كيف أترجم (الإنسان مدني بالطبع) لعنكبوت فضائي لا يعرف إلا اللغة الإنجليزية (**the hymen citizen in print**) أعتقد أن ترجمتي تغص بالأخطاء.. ليست الإنجليزية لغة اشتقاق مثل العربية.. وما ذنبي أنا ؟.. لمَ لا يتعلم العنكبوت الفضائي العربية ؟! لو كان يعرف العربية لسألته عن كلمة "ثبج" هذه.. من المخجل أن أتعلم على "أيدي أو أرجل" عنكبوت!.

هاهو التيار يعود. وكأني أشاهد نفسي بعين أخرى.. كيف أحاول الترجمة لعنكبوت فضائي ؟!
أشك أن عقلي يعمل على الكهرباء.. و إلا ما مبرر أفكاري تلك ؟ من المؤسف أن يكون عقلي مثل هذا المصباح اللعين يعمل على الكهرباء.. أريد أن أخرج إلى مكان لا تستعمره الكهرباء.. صاحبي يسألني إلى أين سأذهب , أجبته بأني سأخرج من نطاق التيار , كلانا لا يفهم ما قلت ومع هذا ندعي (أنا وهو) أننا " مُبرجلين" بشراسة وهذه "البرجلة" مكّـنـتـنا من فهم ما قيل!. يسألني

صاحبي عن معنى "مبرجل" فأجيبه أني لم أقل هذه الكلمة إلا في صدري.. كيف علم أني قلت "مبرجلين"؟! أظن أن هناك ثغرة أو شيء من هذا القبيل في النص..

إن البرد يبث شعوراً داخلياً أن كل ما حولي فاقد لجوهره.. الهواء المحاصر بوحدتي ينمي رغبة مربع السكر في الذوبان.. أتفاجئ بنفسي.. وبالكوب!. لا شيء يشبه هذه اللحظات..إلا اللحظات السابقة..كنت أضع يدي على عيني.. وأفرق أصابعي بسرعة.. يجب أن يكف الوجود حولي عن تمثيل دور "الشيء الساكن"! أعلم أنه يتحرك بخبث.. في كل خلية هو يتحرك وفي كل ذرة.
ساعتي المسكونة بتيارها الصغير تشير إلى الخامسة.. أعلم أنها مخطئة والزمن يعلم أيضاً.. والمارة يعلمون والقطط الجشعة تعلم..إلا ساعتي نفسها.. وحده المجنون لا يدري متى جن.. وأنا مثله لا أدري متى يجن المجنون!.
كم أود أن أصرخ بنفسي " أنت يا أنا يكفي ما فعلته بنا" .
إلاّ أنني "كـــلـــهـــم"..أنا المتحدث الرسمي عن كل شيء حتى يعود التيار..
حينها سأخبر أبن خلدون أنني لم أعد أبالي "بالإنسان المدني بالطبع " ..
لأني الإنسان الذي لم يعد يبالي بالطبع ..!!

18
كش ملك

الصنارة المغروسة في رمل الشاطئ تقول بسخرية
ـــ لم تعد الأسماك تبلع الخواتم ..!
إني لا أريد اصطياد شيء.. كنت أتمنى أن يعلق الخطاف بسدادة البحر لأزيل

هذا الماء..
أحياناً أستعين بأعضاء أخرى لأخرج بهكذا أفكار.. من هناك يأتيني اتصال ليخبرني بأن الديار تغتسل تحت كرم السماء.. وما همي أنا إن جاء ربيع آخر لهم ! حتى الأغنام لم تعد تحفل به.. أعلم أن أحد المهمومين سيسأل نفسه قبل أن ينام
ـــ من سيأكل هذا ؟!
ستأكله الأعين التي لا تبالي بالخضار وستعيده عجلات السيارات ليتخذه الشيطان باروكة يمشطها بحسرة أمام العصاة.. مازال منظر الأسياخ الحديدية يعيدني إلى الواقع.. ماذا لو اصطدت سمكة هائلة الحجم (أي أضخم من السيد قودزيلا).. سأصبح مشهوراً ولن أفكر بسحب سدادة البحر.. السؤال هل ستكون رائحة السمكة كريهة ؟ حقاً إني أعجب كيف يصح للسمك أن تكتسب هذه الروائح الغير حميدة وهي التي تغتسل في كل لحظة ! الآن سأقف احتراماً للجمل..

فجأة تتساقط العوائل من السماء.. كنت أشاهد عشرات النساء وهن ينزلن ومن ثم يقمن بترتيب مظلات الهبوط بعناية..بعد ثوان تعلن الأعراف والأعين المتحدية أن هذا المكان أصبح منطقة محظورة...تضحكني قدرتي على حمل نفسي لأي مكان.. سأطلب كوباً من شاي من المقهى.. لا.. كوب قهوة.. :
ـــ سيكون جميلاً لو أضفت شيئاً من الحليب.. لا تكثر السكر.. ضع أقل من هذا !..ما اسمك..؟.
إنه لا يريد أن يخبرني باسمه.. أقول له بأني حتى أنا لا أريد أن أخبره باسمي.. يضحك ويناولني الكوب :
ـــ مرة رايق
أقول له بنبرة جافه :
ـــ رايق ؟! هل تعرفني يا رجل لتقول لي هذا ؟!
يغضب ويهم برمي الكوب.. أبتعد عن الشباك وأنفجر ضاحكاً.. يصمت المسكين فهو مازال حائراً.. أخبره بأني كنت أداعبه.. ومن ثم أدعوه لكوب شاي على حسابي..
ـــ لا. شكراً لك

ـــ لا شكر على واجب.. إن لم أدعوك إلى كوب شاي فأي أحمق غيري سيفعل ؟!
الآن فقط أكتشف بأني لا أعني أي كلمة أقولها.. نظرت إليه بجديه غريبة ونصحته بأن يغسل طاقية وانصرفت.. كنت أسمعه يقول بفرحة عظيمة
ـــ أخيراً..
اليوم استطعت أن أدخل البهجة إلى قلب إنسان.. طبعاً أدخلتها بطريقة غير مباشرة.. فقد أريته الجحيم عندما يبتسم فقط ! مازالت طائرات (الجمس) ترمي بالعوائل المجولقة ! وأنا أنزح شيئاً فشيئاً عنهم.. إن المخلوقات الصغيرة تنتشر كالوباء بسرعة مذهلة.. نعم صدق أخي (نحن لم نكن يوماً أطفالاً.. كنا أقزام فقط !) أتوقف أمام (البوفيه) وأطلب كوب قهوة (آخر).. لا.. أريد شاي..
ـــ اجعل السكر... هل تعلم ضع ما شئت أريد أن أتفاجئ.. ليتك تفاجئني بأن تجعل السكر قليل..يهز رأسه على ما أظن.. على العموم هم يهزون رؤوسهم للنفي والإيجاب والترحيب والطرب والخوف والترجي..يقول زبون بجانبي وهو يحاول إيجاد محفظته
ـــ عندك همبرقر..؟
قلت له بعد أن مررت يدي على ذقني
ـــ آ.. يا أخ.. لا أظن بأن هذا همبرقر .. هذا شيء معذب بالزيت ! أي وربي ! تقزز الزبون بعد أن قصصت له قصة البوفيه الذي كان يطبخ لحم ضفادع.. حتى أني تحمست وصدقت قصتي..لما أراد أن يلغي الطلب , عاتبته وقلت له بأن هذا ليس من شيم الرجال..
ـــ لقد طلبت وانتهى الأمر !.
أخذت الكوب (الثاني) وسرت في أمان الله والزبون خلفي ينظر إلى همبرقر الضفادع بألم..
أني أتحرك بتفاعل رهيب مع مد العوائل.. وكأني يافطة حدودية ! مازال الأطفال يتقافزون أمام البحر وكأنهم يحاولون أغاضة أرخميدس..

لا أستطيع تبني أي ذاكرة منفية.. لا أقدر.. لم أصل بعد لمرحة الترحم على ما فات.. إني بقعة مستقبلية تتوهج في هذا الحاضر.. بقعة مستقبلية تحتسي

الشاي بسعادة.. لن يكون منظري غريباً لو ركبت المراجيح.. لا أحد يبالي.. إن قوانين الفيزياء ستثبت العكس عندما تدلق الشاي على ثوبي.. حسناً لن أركب الفيزياء معي.. سأجعله يمسك بالكوب ريثما أنتهي من اللعب.. أطفال الديجتل لا يحبون التأرجح.. (تأرجح)؟ يا لها من كلمة غبية !.. أخيراً تصل أول سحابة هاربة من الديار وتجفف نفسها فوق الشاطئ.. تتقهقر العوائل وتعود إلى ثكناتها.. كنت أتسأل بحيرة.. (لمَ كل هذا الرعب.. إنه ماء فقط !).. لم أعرف أن الماء يستطيع أن يحول الأطفال إلى صفارات إنذار..بعض الأطفال يتصرفون وكأنهم جواسيس هاربون من مخابرات العدو..عشرات الجنرالات يركضون بيأس خلف الجواسيس الصغار.. نظرت لأحد الأطفال وقلت له

ـــ إن أباك مختبئ خلف دورات المياه..

يرمقني أبوه بغضب وهو يعدو خلف ولده..الآن فقط اكتشفت بأن السعادة هي المسافة الكامنة بين الطفل وأبيه.. وهاهي تتقلص بسرعة..

محرك السيارة لا يدور من المرة الأولى.. ولا الثانية.. دائماً تكون المحاولة العاشرة هي الأخيرة.. صوت مزعج اعتدت عليه..وأحببته لأنه بشارة بقرب دوران المحرك.. هذا السيارة لا تعمل على البنزين فقط.. وقودها خليط من دعوات أحد الصالحين وتضحية من أحد الدينصورات..إلى أين الآن..؟

.. حقاً.. إلي أين الآن..؟

لا يهم ..

19
نبت الطين

كل شيء يسير بهدوء.. حتى الهدوء نفسه متناسق وغير ممل. لم يعتد على هذا من قبل ولا يدري إن كان سبب روعة الهدوء هو امتزاجه ببعض من الدهشة. يحدث نفسه بحذر :
ـــ لن أضيع هذه اللحظات الجميلة بالتحليل الثقيل.
يقول صاحبه بنبرة يملؤها الحنين
ـــ انتقلنا إلى هذا البيت بعد أن ولدت أختي الصغرى .
الشعور بالغيرة يحاول إفساد هذه المزيج المعتدل النـــسب , فهو من يعتقد أن المؤامرة هي من جلبته إلى هذه البقعة , وسخريةَ الحياة هي من اخفت عن صاحبه أنه ولد في منزل الطين المقابل.. هاهو صاحبه يتحدث عن البيت الصغير المزدحم مرة أخرى.
يحدث نفسه وهو يتحسس الباب الخشبي :
ـــ أقسم بأني رأيت هذا المشهد من قبل..
يغوص أكثر في ذاكرته.. أخيراً يكتشف أن ذاك كان مقطعاً مشوهاً لا غير ..!.

كل هذا يحدث وصاحبه مازال يمجد ذكرياته القديمة
ـــ كان أبي يقول (نحن في هذا البيت مثل ازدحام الدم في القلب..).
أخذت الغيرة تتحول ببطء إلى نوعٍ من الحسد , حتى النظرات المنفرة التي يرميها المارة تدلل أكثر على مقدارٍ الكره الذي يكنه له المكان.
فجأة يتحول الهدوء إلى ضجيج .. إلى ألوف من الوجوه الغاضبة : (لقد هربت.. خدعتك الدنيا.. أنت جبان! أنت جبان !). حتى نفسه تستصرخ رحمته : (غادر المكان.. أهرب)
ـــ لا.. لن أهرب مرةً أخرى !.

يجفل صاحبه من صرخته الثائرة , ويصمت متأملاً علامات الخجل والتعب المرتسمة على وجهه. يسند ظهره على جدار الطين ويقول وقد ملأت التعابير

الجنائزية وجهه
ـــ ذاك بيتنا.. وما زال "ينبض"..!.

يرتفع صوت المؤذن منقذاً الاثنان من هذا الموقف القاسي . يتنهد الأول ويتبعه الثاني بخشوع
(حقاً لا إله إلا اللّه). بعد الصلاة يمسك المشتاق بيد الهارب ويسير به في أحد الأزقة الضيقة , يقف قليلاً ويستكشف المكان بروية
ـــ انظر إلى هذا الجدار.. إقراء هذه العبارة.
يقترب الهارب أكثر ويقرأ بيتاً للشاعر خالد العيدهي (إني هنا ومعي جذورُ طفولتي ** وكنوز أحلامي ومسكُ دَواتي).
تشل الصدمة حركته ويعجز عن النطق , يهزه صاحبه بقوة :
ـــ الحي يقرأ هذا البيت منذ عشر سنوات ! وأنت يا مسكين تعجز أن تسكنه !.

تذكر الهارب الآن هذا البيت الذي كتبه قبل أن يفكر بالهروب بساعات , تذكر حماقته وقسوته.
أجهش بالبكاء كالطفل وصاحبه مازال يهزه بعنف
ـــ جيد.. أنت تعرف البكاء على الأقل , تصورت بأنك رقم أو قيمة شرائية بليدة !.

يمد الهارب يده ويضعها على كتف صاحبه
ـــ أرشدني إلى البيت.. إني تائه.. أريد البيت..
يسير مع صاحبه حتى يصل إلى ذاك البيت الشعبي . يقف طويلاً ويطرق الباب..
يستدير فلا يشاهد صاحبه . بعد دقائق يفتح الباب , ويطل منه رجل مسن , يقبل الهارب يد والده ويبكي بين يديه...

هناك.. وأمام البيت "المزدحم" يقف المشتاق ويسأل نفسه بحسرة
ـــ يا ترى من يسكن هذا البيت..؟ وهل كان مزدحماً حقاً مثل ازدحام الدم في القلب..؟.

20
نـوبة..

حين "يحين" اسمك..
اهدأ ..
القي روعة الدنيا
واهدأ
..
أستكين..
أضعف..
أقوى
..
أتبعثر..
أتكون
..
حين "يحين" اسمك أتوه في فضاء وحشتي ..
فأدرك بأني مجرد شيء آخر " شاحبٌ " ومليء بالصمت..
حدثٌ كهذا حين " يحين " يؤلم..
جداً..
..
يتركني مهجوراً ومحاطاً بالأسرار..
فتجرني الأيدي لطوفان الحياة..
ابتسم هنا .. أهز رأسي هناك..
وأدعي المبالاة في سوق لا ينفض إلا بالموت
..
إن الأشياء الجميلة تبقى جميلة..
فقط في شريعة القلب..
أمّا في شريعة العقل فلا شيء قابل للبقاء..

21
الحيـاة حلـم

هل تعرف أبو طويلة ؟
حاولت بما أوتيت من عزم أن أركز مع حديث الرفيق " عارف " إلا أن النعاس جعلني أقول ببلاهة
ـــ آه نعم أبو طويلة حاجة حلوة ..
ـــ حاجة حلوة ..!! أبو طويلة صديقي يا أحمق ..!!

كان صديقي عارف يتحدث عن صديقه " أبو طويلة " الذي يعرف الشطرنج وكل ألعاب الشّدة ..أبو طويلة رجل خارق للعادة ويعرف كل شيء إلا أنه لا يحبني ولا يمارس دوره الكوني في حضرتي لأن كلمة " يا نصاب " هي العبارة الوحيدة التي أرد بها على قصصه التي لا تنتهي .. فجأة صمت عارف بعد أن صدق بأني نائم .. لا أدري حقيقة أن كنت أمثل أو أني نمت حقاً إلا أن جزءاً من اليقظة ظل ملتصقاً بغفوتي .. فتحت عيني بكسل فشاهدت نفس الأدوار تتخذ مواقعها المعتادة .. فيصل يحاول محاصرة ملك أيمن الذي كان يفكر بوزير فيصل .. أغمضت عيني بسرعة قبل أن أتحول إلى جندي أحمق في مربع الشطرنج .. وتمنيت أن أحلم بأي شيء ..

ثم حدث أن نمت هكذا بدون أي مقدمات ..
إلا أني لم أحلم بشيء .. غضبت كثيراً في " المنام " ثم بدأت بتوجيه عبارات ثقيلة العيار للأشياء المسئولة عن تفريخ الأحلام .. بعدها أتت عجوز ترتدي ملابس رياضية وبدأت تدور حولي .. تباً للعقل الباطن ألا يوجد حلم منطقي واحد في رأسي ..!! طلبت من العجوز بأدب بالغ أن تذهب لمكان آخر لأني مللت وسأنهض.. فاقتربت مني ثم مدت كفها أمامي ونفخت شيئاً ما في عيني وهربت بسرعة .. نهضت وأنا ألعن جميع الأشياء التي نسجت لي هذا المقلب السخيف..
وحين نظرت لوجه صديقي عارف قال بسرعة

ـــ لمَ لا تنام بغرفتك ..؟
نظرت إليه طويلاً ثم تركته ودفنت رأسي داخل اللحاف .. سأنام فقط .. لم أعد أحلم بأي شيء ..

ثم حدث أن نمت دونما مقدمات أيضاً .. لذا شعرت وأنا نائم بأن شيئاً ما سيحدث ويجعلني أنهض.. قال لي صديقي عارف
ـــ لم تجبني.. لمَ تنام دائماً بالصالة ؟
قلت وأنا أشرب الشاي المنعنع
ـــ أولاً هذا شيء لا يعنيك.. أنام في أي مكان في شقتي .. ثانياً بالله عليك كيف أتيت إلى هنا ؟ وما قصة الشاي المنعنع هذا..؟!
ـــ لا أدري ربما تحلم ..
ـــ لا .. يستحيل أن أحلم .. حتى إذا حلمت فسيكون مجرد مشهد سريالي ليس له مبرر..
ـــ ليس هناك إلا وسيلة واحد لتعرف .. سألكمك بقوة وإن لم تتألم فأنت تحلم..
ـــ لا يا عزيزي إن سمحت لك بأن تحولني إلى كيس تدريب فأنت من يحلم وليس أنا ..!!
بعد دقائق لا أدري إن كانت تنتمي للوعي أو للمنام , جاء الرفيق أيمن وجلس بعد أن ناولني سيجارة وطلب مني أن " أمخمخ ".. سألته من أنتصر فقال ببراءة
ـــ استشهد الملك..
بعدها أتى فيصل ليري أيمن وجهه بعد أن صقلت نشوة النصر معالمه..قلت لأيمن بثقة
ـــ لا تحزن بعد قليل سأفيق وربما تنتصر عليه في اليقظة..
قال عارف بسرعة
ـــ هل تعني بأنك تحلم ونحن الآن في حلمك ؟
ـــ أتصور هذا يا رفيق..
قال فيصل بعد أن تحسس شاربه المهيب
ـــ حسناً أثبت هذا الآن..

فكرت قليلاً ثم قلت لهم
ـــ هل تريدين أن أجعل " أبو طويلة " صديق عارف يأتي الآن ؟
ضحك أيمن وقفز عارف مردداً " أتحداك !!.. أتحداك ..! " وهز فيصل رأسه
قلت لعقلي الباطني بأني سأبدأ بالسير على رأسي في الظهيرة إن لم يأتي بالأخ " أبو طويلة" الآن..ثم فجأة طرق الباب.. نهضت لأفتح وأنا لا أعي أي شيء .. خلف الباب كان يقف كائن قصير ذو وجه دائري بشكل مريب.. كان " أبو طويلة " يقف خلف الباب وهو ينظر لي بحيرة..
ـــ من أبو طويلة ؟ حياك الله ..
دخل أبو طويلة ونظر إلى الرفاق بتعجب وقال
ـــ عليكم العنة ما لذي حدث ؟.
حاول عارف أن يدخل رأسه بين كتفيه أما أيمن فضحك وقال
ـــ يا لعين نحن فعلاً بالحلم ..!!
أما فيصل فلم يبالي بكيفية قدوم أبو طويلة بقدر ما همه وأحزنه قدوم هذا الكائن إلى الشقة .. فيصل مثلي لا يحب أبو طويلة .. ولكن ليس لأن حكاياته ترتكز على "النصب" بل لأنه قصصه " طويلة جداً " وفيصل لا يحب الحديث قصيراً كان أو طويلاً..

جلس أبو طويلة وقال بعد أن نظر لي بريبة
ـــ أعرف رجلاً حلم بأنه يحلم ثم بدأ يفعل الأعاجيب والمستحيلات حتى أنه طلبني في حلمه مثلما فعلت يا أبو خليل إلا أنه أعطاني عشرين ألف في الحلم..
قلت بشكل آلي
ـــ لا تكذب..
ولكن فيصل قاطعني وقال بحماس
ـــ بما أنك تحلم أجعل لأبو طويلة أذنا حمار ..!!
ضحكت حتى استلقيت على ظهري وما أن رفعت رأسي حتى رأيت لأبو طويلة أذنان طويلتان مثل الحمار تماماً .. هتف الرفيق عارف بسعادة
ـــ الله أكبر الآن أصبح لأسمك معنى يا أبو طويلة ..!!
قال أيمن على الفور

ـــ بما أنك تحلم أجعل ملك الشطرنج هذا يجلس معنا

حاولت أن أفكر بالملك إلا أني نظرت بشكل لا إرادي لأحد الجنود المنسيين في ساحة المعركة ورحت أتأمل الشقاء الفلسفي الذي يربطني به.. إلى الأمام دائماً ولا سبيل للعودة أبداً .. فجأة اهتز الجندي وبدأ يرقص في الهواء وأصبح لكل مربعات الشطرنج أفواه صغيرة تغني (هيلا هوب .. هيلا هوب) ثم انبثق من الهواء الجندي وقد أصبح رجلاً مثلنا .. أجلسناه بيننا وشرح له عارف الحكاية كلها .. بعدها نظر الجندي لي وقال
ـــ والآن ماذا تريد ؟
أخبرته بأني كنت أريد الملك إلا أنه أتى هو عن طريق التشابه الفلسفي .. لم يفهم حديثي .. حقيقة لم يفهم أحد حديثي .. أنا نفسي لا أفهم أي شيء .. !!

تحسس أبو طويلة بألم أذناه الطويلتان وقال بخبث
ـــ بما أنك تحلم أجعلني رئيس دولة ..

كنت أنظر إلى أذناه وقد انبثقتا من رأسه بشكل عبثي ثم أحاول البحث عن رابط فلسفي يربط أبو طويلة بأي رئيس.. في الحقيقة أذناه تعبران بشكل صارخ عن " الحمورية " كما أنه نصاب ومحتال .. يا للهول إن أبو طويلة معد ليكون رئيس.. ثم فجأة أصبح أبو طويلة صاحب الجلالة وسيدي الرئيس وصاحب العظمة وجميع عبارات النفاق والنفخ .. صرخ صاحب الجلالة
ـــ أنا أبو طويلة تحولني إلى حمار .. يا سيّاف أقطع عنق اللعين ..!!
حاولت بذعر أن أتخيل أني في مكان آخر ليس فيه ذكر لأبو طويلة .. ولكن كل محاولاتي باءت بالفشل .. ثم رفع السياف يده حتى بان بياض إبطه .. في الحقيقة كان السياف أسوداً لذا لم يكن لإبطه أي مجال لارتكاب البياض .. على العموم سيقطع عنقي بعد قليل لذا لا يهم ..!!

فجأة اختفى كل شيء .. كل شيء تماماً .. كنت جاث على ركبتي أنتظر حد السيف إلا أني الآن محاط بالفراغ الأبيض .. نهضتً وسرت قليلاً داخل الفراغ حتى خرجت لي العجوز الرياضية..!! أغمضت عيني وصرت أركل وألكم

بالهواء علني أخيف اللعينة قبل أن تقترب وتصيبني بسوء.. إلا أني تجمدت وأنا أحاول أعطاء العجوز لكمة قاضية.. اقتربت العجوز .. ثم توقفت أمامي .. حقيقة لم " تتوقف " بل كانت " تهرول " وهي واقفة في مكانها .. لم أرَ في حياتي التي قضيتها في المنام عجوزاً تملك كل هذه القوة .. كنت أصرخ وأنا " مجمد "

ـــ هراء ..!! هراء ..!!

فجأة ظهر باب صغير وخرج منه رجل نحيل يرتدي العمامة وبقية الملابس التي تحاول إقناعي بأنه أتى من الماضي السحيق.. أمر العجوز بالرحيل فرحلت بسرعة.. قلت بوقاحة

ـــ هيه ومن تكون أنت أيضاً ؟

قال بهدوء

ـــ أنا عقلك ..

ـــ ولمَ ترتدي هذا الثياب القديمة ؟

ـــ هكذا ألبستني أنت يا مولاي ..!!

صرخت بغضب

ـــ يا لعين أنت تحاول أن توحي إلي بأن أفكاري رجعية .. ولكن يا وقح الإيمان خارج ألعوبة الزمن والنشوء والاندحار..

هز " عقلي " رأسه بأسف وقال

ـــ حقاً لا فائدة ..!!

ـــ حسناً يا سيد عقلي اللعين لم لا تجعلني أتحرك ..!!

لمسني بأصبعه فسقطت على الأرض بقوة .. نفضت ثوبي بعصبية إلا أني توقفت بعد أن أدركت بأني سقطت على " الفراغ " .. سألت عقلي الشامت عن حكاية " العجوز الرياضية " فأخبرني أنها " الدنيا " .. قلت بغضب وأنا أنظر للباب الذي خرج منه عقلي

ـــ لم أتصور من قبل أن الدنيا عجوز ورياضية أيضاً ..!!

أمس عقلي بيدي وطلب مني أن أسير معه .. قبل أن أدخل الباب معه سألته إلى أي مكان سيأخذني .. ؟ فأخبرني بأنه سيريني الدنيا التي يراها الآخرين..

طلب مني أغمض عيني.. حاولت أن أغمضهما إلا أن الفضول جعلني أرفع ستار عيني فشاهدت لوحة كبيرة مضيئة كتبت عليها (أهلاً بك في رأس أبو طويلة)

أخبرني عقلي بأنه يعلم بأني لم أغمض عيناي بعدها خجلت من غبائي الذي جسد نفسه بابتسامة عريضة ..
ـــ أنظر إليها ..!!
أنهى السيد عقلي حديثه وأشار إلى فتاة عنيفة الجمال بعنف وشراسة ساحقة جداً .. صفرت دونما وعي وقلت عبارة عزل من النوع " الكلاسيكي " ثم سألت عقلي بسرعة
ـــ من هذه يا أبو الشباب ..؟؟
ـــ جميلة ..؟
ـــ لا أنت الجميل ..!! وحتى أنه لا يعينك أن تكون بنظري جميلة أو لا يا شيء معقد ..!! أخبرني من هذه الآن ؟
ـــ سأبدل ملابسي وأعود لأن منظري محرج كما أنك لم تقتنع بأي شيء ..
ذهب عقلي وتركني وحيداً مع الحسناء.. فجأة ظهر ثلاثة أوباش لهم آذان طويلة مثل أبو طويلة الذي تركني عقلي في رأسه ..!! صرخت الحسناء
ـــ النجدة .. يا إلهي ..!!
فما كان مني إلا أن تخيلت بأني داخل دبابة روسية .. وما أن جلست داخل " الدبابة الروسية " حتى قصفت الأوباش بالمدفع فتناثروا بالهواء .. ثم نزلت من صهوة دبابتي البيضاء ورفعت الحسناء من الأرض وحملتها معي.. وما أن سرت مسافة قصيرة حتى أتى الحرس والعسكر وطوقوني من كل صوب وطلبوا مني الاستسلام .. جثوت على ركبتي وأنزلت الفتاة برفق وسلمت أمري للعسكر خوفاً على الحسناء من السوء .. كم كنت غبياً ورقيقاً في رأس أبو طويلة..
فجأة أتى عقلي وطلب من العسكر الانصراف وأخذني بسرعة وهو يعاتبني بشدة
ـــ لم أترك إلا دقائق لأبدل بها ملابسي وأنظر ماذا حل بك !!
قلت له وأنا منهك

ـــ ومن هذه الحسناء يا عقلي ؟
ضحك بحسرة ثم قال
ـــ إنها الدنيا..
قلت بدهشة
ـــ والعجوز الرياضية ؟
ـــ في رأسك أنت فقط .. أما في رأس أبو طويلة فحسناء تحصر خياراتك ما بين بطل سريع العطب أو وغد له أذنان مثل أبو طويلة..

خرجنا من رأس أبو طويلة وعدنا لمنطقة الفراغ .. نظرت إلى عقلي طويلاً فقال
ـــ هل تريد تغيير بعض قناعاتك ؟
فقلت بثقة
ـــ اللهم لا .. مازال كل شيء مجرد هراء مثلك تماماً ..
ضحك بعصبية ووضع يده على كتفي ثم هزني بقوة وهو يقول
ـــ انهض إذا..!!

فتحت عيني بسرعة فصدمت بوجه صديقي عارف وهو يقتحم ناظري.. قال بعد أن نظري لي طويلاً
ـــنمت ؟
ـــ .. لا أدري .. من يعلم لعلني سأفيق بعد قليل ..

22
السرعة تبدأ بالانخفاض تدريجياً..

الجنون وحده هو من يقف معي حين يقرر البقية التخلي عني.. كيف أشعر الآن بالوحدة وأنا محاط بالمخلوقات الخيالية التي ترقص بالهواء.. إن الأشياء الشاعرية لعينة ومليئة بالمعاني المؤلمة.. لم أعد أدري لمَ لمْ يفكر الشعراء وبقية الكائنات العاطفية البائسة بشعور أكثر عقلانية من الحب والكره لنبرر بها تلاصقنا المزعج بنفس المشهد.. إني أكره الشعراء وبقية المخلوقات العاطفية لا لشيء ولكن لأستطيع التواصل معهم بالشعور الوحيد الذي أستطيع تصديقه..

في هذا القلب تراكيب مريبة تضج حين أنسى وأرسم بسمة دافئة.. الغرفة الصغيرة محتلة برزم الكتب وعبارات التشجيع المصلوبة على الجدران.. مهما حدث ومهما ارتكبت في حق نفسي سأكتب..

الساعة التاسعة صباحاً أو هكذا يخيّل لي.. بعد ساعة سيتقرر مصير أحدهم.. تجتمع كل دلائل الحدث وعلامات المصيبة المقبلة لتصنع لي عجوزاً عرافة تردد ضاحكة (ثم إنك تعود للصفر لتنبش فيه عن بداية جديدة..) أشد أصابعي وأبدأ بتجميعها أمام وجهي.. حطت ذبابة على يدي فهمست لي (متى أصبحت يدك مرآة..؟) طارت الذبابة هاربة من تصوراتي وتركت مرآتي بلا كينونة تعكسها بشكل مقلوب.. خرجت من صدري ضحكة نزقة ومن عيني دمعة ساخنة.. حينها استفاقت عقارب الساعة وأخذت تحث الثواني على الانتهاء.. اهتزت أطول العقارب منتشية باقتراب الحدث.. إن في يدي مرآة لا تعكسني وفي ساعدي عقربان يسممان ما تبقى لي من زمن..
ثم أتت العاشرة..
لم يحدث شيء..
كنت أتخيل كل هذا الرعب..
أفقت من المنام لأنظر للساعة.. التي لا تزال تشير إلى التاسعة..
حسناً..

سأفيق قبل العاشرة..
لأعيش التاسعة من جديد..

إن البعوضة تشرب دمي بنهم وأنا أضحك بحقد.. أشربي يا لعينة أكثر.. إن دمي ملوث وغير مخصص للاستهلاك.. ستكون البعوضة مسطولة جداً حين تطير مبتعدة.. إن كيمياء الاختلال تطير الآن مع البعوضة.. إن دمي الآن يسبح في الهواء.. إنني أطير..

كانت الطبيبة الجميلة تقلب كفيها وهي تنظر للمرة العاشرة لأسناني المحطمة والمليئة بالسوس.. بدأت تدخل أدواتها المخيفة داخل فمي وهي تتأفف..
أخرجت كل عدتها من فمي ثم قالت وهي تنظر لي
ـــ جميع أسنانك بحالة سيئة.. أنت أسوء حالة أتت لي منذ سنة..
نظرت إلى وجهها الجميل ثم ضحكت بحسرة لأكشف لا مبالاتي.. بعدها أخبرتني بأن كلفة العلاج ستكون مرتفعة جداً نتيجة لحالة أسناني المتردية.. سألتها إن كان أحد قد مات بسبب أسنانه.. فضحكت بعصبية وجلست على كرسيها وبدأت تكتب بخط غير مقروء وصفة علاجية.. كنت أنظر لخطها السريالي وأتذكر عبارة " حسّن خطك " التي لازمتني من الابتدائي حتى قاعات الجامعات.. إن خطها سيء ورديء مثلي إلا أنها كبرت لتصبح طبيبة أسنان وأنا كبرت لأصبح صعلوك ذو أسنان مسوسة.. إني أعلم بأن الطبيب لا يعدو كونه ميكانيكي بشري لذا لم أشعر بالأسف بعد أن خرجت من عندها ورميت الوصفة اللعينة وقررت اقتلاع السن الخائن بنفسي..!!

في البقالة المجاورة لشقتي كنت أنظر لأبو بدر وهو يهز يهده المليئة بأصابعه الكبيرة والمعدة لقبض النقود.. إن يد أبو بدر أشبه بكماشة نقود.. لا أدري إن كانت هناك " كماشة للنقود " ولكن هذا ما كنت أفكر فيه وأنا أنظر ليده وهي تحاول إكمال تهديده بطردي من الغرفة إن لم أدفع له الإيجار.. إن أبو بدر هذا رجل طيب إلا مرتين بالسنة يتحول فيمها لكائن لعين يمتلك كماً هائلاً من الحق يسمح له بركلي أنا وثيابي وكتبي البائسة إلى الشارع.. بعد أن أشعلت أكثر من ثلاث سجائر وأقسمت له مليون مرة بأني سأدفع له بعد شهر قال عبارته

الوقحة " غداً ستضع النقود أو المفتاح في يدي " وفتح الباب كله وكأنه عملاق وخرج.. كان الجهاز المريب المعلق على طرف باب الدكان يقول (أذكر اللّه يذكرك)..نظرت في عين البقال وقلت بسخرية (لا إله إلا اللّه رغماً عن أنف أبو بدر) وخرجت وأنا أضحك.. أو هكذا كانت أتصور..

لقد تعلمت وأنا أعد حقائب الهرب أني مهما ذهبت سأعود.. وأني مهما ابتعدت لن أختفي.. وأني مهما تعلمت سأظل جاهلاً.. لقد تعلمت أن لا شيء يستحق أن ألوث قلبي بالحقد بسببه.. لقد تعلمت أن الغباء هو الجهد الذكي المبذول لأي قصد غير اللّه.. لقد تعلمت أن الحب الحقيقي هو ذاك الشعور الذي يحولك لكائن كوني يضحك لسمرة الشمس ويبكي لشحوب القمر.. لقد تعلمت الكثير ودفنت الكثير في البحر الذي ألوح له الآن مودعاً.. لا مزيد من أشياء البحر بعد الآن..

أعلم بأني مجرد غبي يمسك بالقلم من عنقه ويقول قبل أن يكتب (سبحان الذي سخر لنا هذا ..) لا أعرف إن كان هناك شخص ما متخصص بهذه الأشياء لأخبره بأني أفكر بطريقة مريبة وأن في رأسي أفكار ملغومة كلما بحت بها انفجرت لتجعلني أنزح إلى قلبي.. حين أكون طيباً فهذا لا يعني بأني كائن " كويس".. إني فقط قررت اللجوء إلى قلبي ريثما تنتهي روحي من إعادة أعمار عقلي.. هل يستطيع أحد قراءة الأشياء المخفية.. أيعرف التركيبة السرية للأشياء ذات المعنى في رأسي.. أيعرف لمَ قررت كراهية الأشياء التي أكرهها دون بقية كل الأشياء التي لا أبالي بها.. أيعرف لمَ تتلاعب بي كيمياء مشاعري فأضحك بكل حروف الجهر وأبكي خلف ستر السر.. أيستطيع أحد ما تصنيف ذاك الشيء الوقح والبدائي الذي يهبك قدرة معرفة العيون القذرة من تلك الطاهرة على أنه شعور نبيل ولائق وهو ذاته الذي يجعلك تغني بالحمام وترقص بعزلتك.. إن الوضع يتطور ويتجه نحو العبث كلما تأكدت أكثر بأن كل شيء مؤقت وبأن الأبد قيمة يستحيل أن تتجسد في عالم فان كهذا الذي أتسكع فيه.. ولكن الأمر يستمر في تطوره في عالمي الصغير لأعلم بأن العبث ليس قيمة نهائية بل مجرد المسافة الفكرية التي تفصل إدراك

المجموعة (أ) عن إدراك المجموعة (ب).. لذا ما زلت أمسك بالقلم وأقول قبل أن أكتب (سبحان الذي سخر لنا هذا)

23

زاوية باردة..

لحن قديم يرجعك للوراء..
حماقات..
ارتجال قلب..
قليلاً من شجاعة
وكم هائل من الأضداد
..صداقات بالية
وأعداء كسالى..
وصور كثيرة لزعماء بائدين..
.
.
أبيات مكسورة ومعاني مفضوحة وضحالة "خبث"
من يحتار في ماضيه فهو تعيس بحق
لا تتملّق الماضي..
أعترف به وارجع بسرعة إلى زمنك
وفكر به عندما تعوز لشيء من الحزن..
.
قد تهمس بخجل " آهٍ كم كنت غبياً في ذاك الوقت"

قد تبكي بحرقه " ليتني ظللت كما كنت.."
,
صنوف الحسرة كثيرة
والماضي كلمة تنطق في الحاضر ليجلجل صداها في المستقبل..
إنك موجودٌ لسبب..
ولست سبباً لوجود..!
أنت القصة والبطل..والحبر والورق
وإن قرءك غيرك فما أسعدك..
.
.
إن الغباء لنعمة....فقط عندما لا يعلم المتصف به بأنه صاحب النعت..!
ما بال اللحن كاد أن يقتلك ؟ تفكر..
تبحث عن جواب..
لا تبرر..
لن أستجوبك
أنا ضعفك..لست قسوتك !
.
أخبرني أمازلت تتمنى رؤية" قوس قزح " ؟
لعلك حتى الآن تنظر إلى السماء بعد المطر..
لعلّ دافعك أصبح مختلف..
حتى أنت أصبحت مختلف..
أما السماء فلن تختلف..
زرقاء تدعي الاتساع ..
تماماً كما تدعي أنت الصلابة..
.
.
كل شيء كاد أن ينقضي..
إني استنزف آخر كلماتي
سترميني بأحد زواياك الباردة..

ولن تعود إلا بعد معركة فاشلة !
ستنزوي أمامي طاباً المواساة..
ستروي لي قصة كفاح مستهلكه
وملحمة طموح هزلية..
ستجلب لي أعداء جدد..
وصور لأصدقاء "بلا سبب"!
وتطلب مني أن أعيد اللحن لكي تبكي بترنم !
لا ترشدني..
إني أعلم طريق الزاوية..

24

أحيـانـاً..

من الجميل أن تعود .. أياً كانت " عودتك " وحتى وإن كانت خائبة بعنف .. أحياناً من الجميل أن تضحك ببلادة أمام كل شيء .. من الجميل إلا تبالي بشيء .. أن تضحك من كل قلبك فقط لأنك " تستطيع ".. من الجميل أحياناً أن تكون مستحيلاً على الألم حد الجنون .. أحياناً لا يقارن أي شيء مهما كان براقاً وجميلاً أمام لحظة تبكي فيها من كل قلبك لله.. تخبره بكل شيء وتبكي كالطفل .. بعدها يتحول كل شيء لحقيقة .. حقيقة تحارب من أجلها بكل أجزائك الصغيرة المحطمة..

أحياناً يكون كل شيء مؤقت بحجة بعض " الأحيان " .. أحياناً أدرك أن كل شيء أقابله ليس أي شيء مما سأقابله .. أحياناً أتمنى أن أتوقف عن كوني "

أنا " لأنظر للعالم بشكل مختلف .. أحياناً أتمنى ألاّ يأت الغد غداً فقط ليصبح الماضي شيئاً يستحق النظر .. أما الآن حيث لا شيء يصمد أمام منظومة الحاضر المتسلسلة بشكل مريب ما بين الأمس والغد سأوجه كل ما أملك صوب الشمس لأصرخ وعيني مغمورتين بالضوء..

أتخيل لو صنعت مكوكاً أضع به كل حكام العالم وعسكرهم فيه وأطلقه في الفضاء الخارجي .. وأتمنى من أعماق قلبي ألاّ يهبط مكوكهم على كوكب صديق .. حينها لا أدي إن أصبح كل شيء على الأرض منطقي .. ولكني سأحاول كمدير للعالم حل كل مشاكل العالم مع كوب قهوة وربما سيجارة من النوع المضروب سيكولوجياً .. ولكن الحياة الآن معقدة ومليئة بالملاعين .. لا أدري لمَ الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على أن يكون لعيناً جداً دون غيره من المخلوقات .. لا أدري لعل كل المخلوقات لعينة جداً مثل الإنسان .. لعل الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على ألاّ يكون لعيناً جداً .. لعل سقراط كان يفكر بهذا حين أصبح يعرف بأنه لا يعرف ..

ولكن ماذا لو حلت كل مشاكل العالم .. ماذا لو انتهت كل الصراعات وأصبح كل البشر بكل مكان "كويسين " جداً.. ستصبح الحياة غير منطقية بتاتاً لنصف سكان الكوكب .. لذا سيفكر هذا النصف بأي حكاية تبرر وجوده .. ثم سيحارب النصف الآخر الذي يختلف معه بتلك الحكاية التي يبرر بها وجوده .. الأمر مبرر جداً حين أراقب مجموعة من الحشرات المتشابهة تتصارع بشكل جماعات .. ولكني لا أجد أي مبرر حين أشاهد الحروب .. حين أدرك بأننا في النهاية لا نختلف كثيراً مع الحشرات .. إن الحل النهائي أن أصنع مكوكاً هائلاً لكل عرق وطائفة في العالم وأرسلهم كلهم في الفضاء الخارجي لتعيش كل جماعة في كوكب مستقل ولا يعرفون أبداً أماكن كواكب الجماعات الأخرى .. حينها لا أدري إن كانت الحياة ستكون منطقية لهم بشكل متشابه.. لعل نصفهم سيجد حكاية يبرر بها سبب إرسالهم لهذا الكوكب ليحارب من أجلها النصف الآخر..!!

لا شيء يصبح منطقي حين تستخدم كل الخلايا الصغيرة التي تملكها لتبرر بها

هذا التلاصق الذي يكونك داخل ذاك السؤال العميق الذي يدور بداخلك وكأنه إعصار كوني لا يتوقف إلا بالوفاة.. في النهاية سيظل كل شيء على ماهو عليه .. لن تنتهي الحروب أبداً .. ولن يصبح الإنسان شيئاً آخر غير حكاية صراع يبرر بها وجوده..
حين أدرك أني لا أعرف أي شيء مهما كان بسيطاً أشعر بخوف عظيم يجعلني أنظر إلى السماء لأملئ قلبي بالله كي لا أصبح مجرد تابع صغير لحجة شيطانية تجعلني أحاول قتل الحق لأثبت أنه مثلي " يموت "..

حقاً أحياناً من الجميل أن تعود لتكتفي بكونك أنت من جديد ..

25

حين يأتي الضوء الأخضر..

حين أقف ضعيفاً ومجرداً أمام العين الحمراء الآمرة لا أدري كيف تنتهي الأشياء.. لم أشاهدها وهي تبدأ بالنشوء.. لقد أتيت حين كانت منهمكة بحدوثها.. لذا اكتفيت مثلها بارتكابي مجبراً في كل لحظة.. إني الآن أنا.. وبعد قليل أنا.. دائماً أنا.. حتى حين أشذ عن فلك الزمن البائد متجهاً نحو الأبدية سأكون أنا.. إن الأنا كينونة فريدة تزرع بالأرض وتحصد بالسماء..

ما الذي يحدث الآن.. لمَ تستهلك الإشارة الحمراء كل هذا الزمن مقابل شيء من المسافة.. لمَ أشعر بأن روحي أصبحت مليئة بالثقوب.. إن الإشارة الحمراء تشرق الآن من ثقوب روحي.. على كل الأشياء التي تسكنني التوقف.. كيف تقف تلك الأشياء التي أحبها طاعة لهذا المصباح الأحمر وهي لم تفكر في يوم أن تقف لتشاهد الشمس وهي تذهب خجلة إلى غد الكائنات التي استنفذت

يومها قبلنا..

إن الطفلة تنظر لي بدهشة وأنا أشعل السيجارة.. أحسست بالمرارة وأنا أشاهدها تنظر للدخان يخرج من فمي.. كنت أشعر بأني سأعلق في ذاكرتها كمشهد كئيب.. عادت للوراء واختفت عن مجال رؤيتي.. إن الإشارة الآن خالية من أي دلائل الذاكرة.. إنها فقط تجبر المزيد من الزمن على النفاذ في ذات المكان..

إلى أين سأذهب حين يأتي الضوء الأخضر.. حين تشعر بأن جميع أشيائك الثمينة قد ذهبت فعلاً تبدأ بالشروع برحلة البحث العبثية عن المعنى المنسي خلف مشهد الحياة.. هل يجب أن أحلل بعقلية أبدية المناظر الهشة والزائلة التي تقتحم عيني.. مازالت الإشارة تبث الضوء الأحمر.. ومازلت لا أدري إلى أين سأذهب حين يثور الضوء الأخضر..
الألوان مجرد موجات ضوئية فقط.. ولكن العقل لا يستطيع رؤية الأمور كما هي عليه لذا يبدأ بتلوين الموجات وتلحينها لتبدأ الروح بالرقص والانزواء بين لحظة دافئة وأخرى باردة كالنصل.. هل أستطيع إدخال يدي في رأسي وإخراج كل الكتب والأشياء التي أعرفها.. هل أستطيع طرد الفلاسفة والحكماء والأصدقاء والملاعين الذي يستعمرون رأسي.. هل من الخطأ أن أظن بأن الأنا مجرد الذائقة التي تجمع المعاني والقيم وبقية أشياء الحياة.. هل من المفترض أن أفكر بهذه الطريقة أم أن هناك عطباً ما في مكان ما أدى إلى حدوثي بطريقة ما..

أخيراً هطل الضوء الأخضر فبدأت العربات تتحرك ببطء وكأنها جيش جرار.. قبل أن يخفت المشهد تماماً رأيت الطفلة وهي تلوح لي بكفها.. حين كانت الخردة التي أتسكع بها تشق درباً آخر لا أدري إلى أين يوصل كنت أقول للمقعد الفارغ بجواري بأنني قد لا أكون مجرد مشهد كئيب في ذاكرة طفلة.. لو لم يكن هذا المقعد فارغاً تماماً حتى من الصدى لأعاد صياغة حديثي بعبارة واحدة :
" تباً للضوء الأخضر..!! "

26
ابتسامة محايدة..

كنت أميل رأسي أمام البحر لليمين كي أنظر له بتحيز أيماني.. من الجميل أن تكون بعض مبررات غبائي نبيلة.. لو كان للغباء طرف آخر لتمنيته , ولكن حتى الذكاء مجرد وصف مهذب لدرجة معينة من الغباء.. لا أدري إن كان الإنسان أداة صالحة لقياس الكون , ولا أدري أن كان يوجد مبرر غير إيماني واحد قادر على تبرير وجوده في هذا الكون الذي يحاول صياغته كما يريد.. لا لأنه معقد وغبي وذكي ومتناقض وطيب ولعين ومختلف ومتغير وغير متوقع فقط , بل لأن وجوده وتطوره يشكل تهديد حقيقي على البيئة التي يعيش فيها ويتكاثر عليها.. لو تخيلت نفسي كائن غريب جاء من كوكب آخر لأرسلت رسالة عاجلة إلى أهل كوكبي مفادها أني اكتشفت أن الإنسان هو الكائن الأخطر على وجه هذا الكون المتباعد القسمات.. ولكني مجرد صعلوك يزف اللعنات عذاباً على القطط التي تكتفي بارتداء الدفء أمام بقعة البحر الباردة والبائسة.. لا أدري إن كان السمك يتسكع في البحر بزعانف شتوية.. ولا أدري إن كانت مناقير الطيور الكادحة تزرق برداً كلما غمست رؤوسها في البحر لتحول الأسماك ذات الزعانف الشتوية إلى مجرد سعرات حرارية.. إني فعلاً لا أدري إن كان يوجد كائن آخر يشارك الإنسان ضعفه الهائل حين يجرد من أشياءه الصغيرة..

أمام باب شقة الرفاق انتابني شعور غريب جعلني أطرق الباب بسعادة عارمة.. إن الأفكار التي تسرق الدفء من دمي تهرب بذعر كلما طرقت الباب.. أتمنى ألاّ يفتح لي أحد .. أريد طرق هذا الباب حتى الأبد.. لو كانت الأشياء القبيحة تطيع الجاذبية مثل التفاح لعلقت نفسي مثل الخفاش وهززت رأسي بعنف لتسقط..
إني أشاهد عيناً ما تسترق النظر من " العين السحرية " التي تتوسط جبين الباب.. لا يوجد شيء سحري في باب شقة الرفاق.. إنها مجرد ثقب واقعي يسمح للمجهول أن يعرف عن نفسه في مقل الكائنات التي لم تعد تثق إلا بالأشياء المعهودة ..
ـــ إنه أنا أفتح يا لعين !

لو كنت أملك ذيلاً مثل القطط لكنت أحركه الآن بعصبية محاولاً التواصل مع ذيل الكائن الذي يراقبني خلف الباب.. إلاّ أني لا أملك ذيل لذا جلبت معي قبائل العبارات الغاضبة لتشارك يدي الهجوم على الآذان المعلقة كعلامات استفهام على جنبي رؤوس الرفاق.. أخيراً فتح الباب فبدأت معالم الوجه الذي فتحه تصبح أكثر منطقية.. إنه صديقي " تركي " الذي يستطيع بابتسامته اللامبالية اقتحام عالمي الغاضب بكل سهولة..

ـــ حقاً الأشباح لا تحمل المفاتيح ..!

نظرت إليه طويلاً .. ثم أشعلت سيجارتي وأعطيته ظهري وذهبت

ـــ هيه ! إلى أين .. ؟

لم أكن أملك جواباً مقنعاً لذا هززت كتفي فقط دون أن ألتفت إليه .. قبل أن أركب السيارة خرج من الشقة بسرعة وهو يقول

ـــ أنتظر يا طحلب سأذهب معك ..

بعد عشرين دقيقة من ركوب تركي معي قررت الاستسلام والذهاب معه إلى البنك بعد أن روى لي كاذباً قصة معزاها أن هذا الكوكب سينهار إن لم يسحب كل رصيده من البنك هذا اليوم.. إني أكره البنوك والأسواق وجميع الأماكن المسكونة بالمخلوقات الأنيقة والمصطنعة.. لذا كان إحساسي بالضيق ألعن عندما توقفت عجلات السيارة أمام المجمع التجاري وعندما توقفت قدمي أمام باب البنك .. كنت أشاهد تركي من خلف الزجاج وهو يناقش الموظف الذي خنق نفسه بطوق ثوبه بحجة الأناقة.. بعد أن مللت من مشاهدته بدأت أتخيل النقاش الذي يدور بينهما بعبث..

وكأن تركي قال :

ـــ لا شيء يشترى بالمال .. المال مجرد حجة لعينة وجدت لتعقيد وصول الأشياء التي لا يحتاجها الإنسان إلى الإنسان الآخر الذي يحتاجها..

ضرب " أبو طوق " مكتبه الصغير بغضب وهو يقول

ـــ ما الذي تقوله ؟! هل أتيت لتسحب رصيدك أم لتملأ رأسي بهذا الهراء ..!!

أرتبك تركي ثم قال لأبو طوق

ـــ لم أقل هذا ولكن الطحلب الكائن خلف الزجاج هو من يتخيل بأني أقول هذا الهراء ولا أدري كيف استطعت أن تتواصل معه ..!!

يا للهول إن شيئاً ما ليس على ما يرام الآن .. تركت صديقي في واقعه قبل أن أتسبب فعلاً بحدوث خلل ما وصرت أتجول بين ممرات السوق .. لا أدري لمَ أشعر دائماً بأني متورط بكل شيء حولي.. وكأني قادر على تخريبه..
الآن أتذكر أنف الأستاذ الكبير وهو يترنح مع الجمل التي تشرح نظرية خطر التفاحة "الخربانة" على بقية التفاحات " الكويسة " .. والآن فقط اكتشفت بأن أنف الأستاذ كان يحاول أن يخبرني بأن الأستاذ مجرد غبي آخر .. فالإنسان ليس التفاحة بل "الدودة" التي تخرج رأسها بفضول منها .. بعضهم يتحول إلى فراش والبعض الأخر يبقى كما هو.. أي مجرد دودة .. حتى أنا مجرد غبي آخر في سلسلة الشقاء العقلي.. ولكني لا أبالي على الأقل..

فجأة شعرت بشوق طفولي للديار .. كنت أنظر لعيني الفتاة التي تحمل الأكياس الكبيرة على أنهما نجمتان لو تبعتهما بقلب أبيض فسأصل لبيتنا الصغير حيث لا تغلق الأبواب أبداً.. لو لم تكن الشياطين تزاحم النوايا الطيبة لحملت معها الأكياس ولأخبرتها عن روعة الدنيا في عيني حين لا أنظر إلا لها..

ــــ هيه ..!
أفقت من حلمي الصغير على صوت حارس الأمن الذي كان يتقدم نحوي بتوتر وكأن سأفجر المكان.. وقف أمامي ثم وضع يداه على خصره وقال بوقاحة
ــــ ما الذي تفعله هنا ؟
ــــ لا أفعل شيء .. فقط أحلم
ــــ حسناً لا تحلم هنا فهذا السوق للعائلات..
لا أدري لمَ انفجرت ضاحكاً .. ولا لمَ شعرت بأني أنهرت بكل سخافة بعيداً عن حلمي وأمام حارس أمن في سوق "للعائلات فقط " .. إن شعوراً مؤلماً حد الخدر يمزج الضحك الهستيري بالبكاء المقموع في داخلي..
ــــ لمَ تضحك ؟
نظرت له بلا مبالاة وقلت بصدق
ــــ إني فعلاً لست وغداً بما يكفي لأعرف..
في الخارج حيث لا يبالي المطر إن كنت أعزب أو لا.. كان سؤالاً واحداً يدور في صدر مخلوق يشعر بأنه ولد قبل خمس دقائق " هل توجد حبكة واقعية للحياة

؟ " .. صديقي تركي الذي أغلق باب السيارة بقوة لا يبالي إن كانت للحياة حبكة واقعية لأن الحياة بنظره لا تستحق عناء التفكير بها.. قلت له بعد أن تبحرت في ابتسامته المحايدة واللعينة
ـــ هل سحبت رصيدك ؟
ضرب جيب ثوبه الأمامي بانتصار وقال بفرحة
ـــ نعم .. 783 ريال .. فالتذهب الرأسمالية إلى الجحيم.. الغداء على حسابي يا صديقي الطحلب إن الطريق الأسود الطويل يشرق ويتسع كلما شهرت تلك الابتسامة المحايدة في عيون الناس الذين لن أعرفهم أبداً.. وكلما همست لي القطرات عن الموسيقى التي تعزفها أمنياتي الطيبة لتلك الفتاة التي لن أعرفها أبداً..
من يعلم لعل السعادة مجرد تلك الحالة التي نشعر بها حين نبحث عن الحقيقة بابتسامة محايدة..

27
استخدم عقلك أكثر..

هناك من يعيش على نقطة قوته , وهناك من يعيش على نقطة ضعفه , وهناك من لا يكتفي
" بنقطة" ليعيش عليها..

ـــ تباً .. ما الذي حدث ؟!
أنهى بندر جملته المتذمرة وضرب مقود السيارة بغضب, صديقي "بندر" شاب صافح الثلاثين قبل عام , إلا أن عقله تجاوز بمهارة معضلة الزمن.. يقول لي

دائماً بأن مشكلتنا تنحصر في رؤوسنا , أي أننا لا "نفكّـر".. وحتى أن البعض أتخذ رأسه شماعة ليعلق عليها شماغه أو طربوشه أو عمامته فقط ..!!

أختي تقول لي دائماً (الفاضي يعمل قاضي) أي أن الشخص "السكيع" مثلي هو من يحاكم الأشياء.. رغم كمية الوقاحة التي ترن في أذني من هذه العبارة إلا أنها أصدق عبارة قيلت لي.. دائماً ما نتعلم من الأشياء التي نكرهها أكثر من تلك الأشياء التي نحبها.. لا تكن طيباً أو شيئاً من هذا القبيل ولكن أبحث عن الحقيقة فيك..

كل هذا العصف الفكري لم يمنع السيارة من إصدار الأصوات الغريبة ومن ثم الارتعاش فالتوقف الصريح والوقح أمام أشارة المرور الخضراء.. من بالخلف لا "يفكرون" بأسباب وقوفنا الأبله في مقلة الإشارة الخضراء لذا يكبسون على أبواق سياراتهم بغضب وتوتر وعصبيه.. لا أدري لعلهم " يفكرون " ولكن بأشياء أخرى لا تبالي بنا ولا باللون الأخضر.. حتى في أشد الأمور قسوة وضيقاً لا أستطيع لوم إي إنسان فالحياة فعلاً قاسية على الجميع لذا أكتفي بإغراقهم باللعنات والشتائم الخالية من الضغينة, خاصة الآن وأنا أدفع سيارة صديقي بندر بخجل ليس له أي مبرر..

أخيراً رق قلب المحرك أو قسا أكثر.. المهم أن دقاته عادت مبشرة الطريق بدوران العجلات.. نظر لي صديقي بندر وقال بعد أن رسم ابتسامة ساخرة
ـــ في المرة القادمة أنا من سيدفع السيارة..
كنت أتمنى إلا تكون هناك " مرة ثانية ".. لقد مللت من " المرة الثانية "..
فجأة قفزت من صمتي وقلت بسعادة
ـــ هل تعلم يا بندر .. لن تكون هناك " مرة ثانية "..
مسح شفتيه وقال متصنعاً الاهتمام
ـــ كيف ..؟
ـــ ستتوقف السيارة بمكان آخر على الأقل..
ضحك ثم قال
ـــ حسناً أنا من سيدفع في "المرة الأخرى "

كنت أضحك بفرحة وأنا أعلم بأني مجرد صعلوك قرر أن يفكر .. أما صديقي بندر فهو يفكر لأنه يبالي فعلاً.. إن الحقيقة تكون جميلة جداً حين لا ننظر لها بشكل شخصي ..

28
أشياء غبية

قبل ذاك الزمن لا شيء يذكر..
إلا خدوش صغيرة على بوابة الهروب
قناعة تجندل أعظم الأرواح !
خوف من فقدان هذا الخوف !
دهاليز صنعت للفضوليين, فنام بها الفقراء..
حكمة الوقت "الوقت ثابت والمقياس متحرك"
والمغزى "أن الوقت لا يجيد التعبير!"
..وما قبل ذاك الزمن ؟ وجود ليس له دليل !
من يردد "دليل ..دليل "؟
دعوه يعترف ..اعترفوا على لسانه
وبعدها اتركوه..

..هنا يتحرك التعيس
يرتفع.. ليثبت أن كتلة البقاء "سلبية"
أسرع الوسائل هي "التبخر"

لو علم "الخط المستقيم" أنه على ورقة لطواها والصق النقطتين!
ولكن أحداً لا يعلم ..حتى التعيس !
حتى أنت..

يقول أحدهم : إن النجوم وإن أفلت تراني ... وإني مصيب وإن فقد الدليل
ـــقاطعته " يا سيدي وكيف ذلك؟"
ـــفأجاب " يا مأفون هذا شعر!!"
ـــنعم شعر..تابع.. "الارتفاع"
ما أذكى القناعات الغبية !
تبرر نفسها "أدبياً"

الآن..
أينا أكثر إتقاناً لكذبته !

29

يا رأس محمود..

رأس محمود يتدلى مع المفاتيح التي نسيت أي أقفال تفتح, محمود هذا دمية مثل بقية الأشياء التي لا تستطيع أن تنكر واقعها لأنَّها بالأصل تعجز عن الإثبات, فغير المثبت يقبع خارج مظلة الجدل, فما هو بقضية وما هو بنفي؛ لذا لا يصح نفي نفيه أو تركيبه مع حالته التي لم تحدث بالأصل..!

عندما أتجاوب فيزيائياً مع الطريق الوعر وأشاهد رأس صاحبي الكبير يرتطم بين الفينة والأخرى حين يغفو برأس صاحبه الذي "لا أعرفه" منذ خمس

سنوات, أستشعر مدى الإحباط الذي تبثه الأنوف الكبيرة القادرة على تحويل قبائل الأكسجين إلى غازات سامة تجعل الشجر يفكر ألف مرة بطريقة أفضل للحصول على غذاءه قبل أن يبدأ بعملية البناء الضوئي. إن هذا الطريق اللعين تآمر مع شجاعتي المفقودة وحول كوب الشاي إلى رعب متأرجح يهدد في كل لحظة بالاندلاق على واقعي المهلهل. إن الرعب في يدي والواقع في محفظتي والأمل يقبع في المساحة المتقلصة والمتمددة التي تفصل رأس صاحبي الحالم عن رأس صاحبه الصابر. سأشعل لفافة ثانية لأزاوج ذرات الكذب بكمية لا بأس بها من الأفكار الانشطارية لتتحول هذه السيارة إلى مفاعل فكري قابل للانفجار بأية لحظة.

لو كانت الحياة وصف بيولوجي لبقرة تلد ديناصوراً اعور, أو تقييم فسيولوجي لعيني رئيس الأمم المتحدة, لما تشاركت الغضب معك يا" رأس محمود" ولما دعوت اللّٰه أن يلتصق رأس صاحبي مع "صاحبه" ليصبحا مخلوق سريالي قرر الهرب ذات صحوة من مخيلة مسطول. إنها الشيء البائس الذي يأتي مع رنين الهاتف في ساعة متأخرة. إنها ملايين الأسماك التي حين تفتحها تجد بداخلها بدل الخواتم (فواتير) ذات أرقام فلكية, إنها ابن الجيران الذي قرر أخيراً الإفصاح عن حبه العذري على جدار منزلك؛ إنها اعتباطية وفردية وتستطيع أن تخيط رغبة الاستقرار لديك بحذاء البقال الذي يركض بيأس خلف لصوص الظهيرة..
نحن يا "رأس محمود" حين نتقمص أعيننا المتخمة بالصور الجامدة والمركولة على أبواب المنامات المخزنة في إنسانيتنا المنقرضة ننسى أننا محاولة طموحة لإعادة تصنيع فلسفة الهراء الاستهلاكي..!

يا زميل الوجود, في البدء كانت الأمور تنتهي خلف حضوري.. لم أكن محاصر بالورق والأرق.. كنت كالبقية, لعنة يتلوها الأبرار ليتوارثها المبالون.. ولكن هذا ذهب حين أغمضت عينيّ.. لو كان هذا " البدء " قيماً ونادراً لبكيت تكريماً لروحه.. إلا أنه مجاني ومبتذل ككأس ماء بيد ريان.

إن أصابعي ترتعش ممتدة إلى طرف النافذة.. تنطفئ جذوة أربعة منها وتشير

الناجية إلى السماء.. تخرج السيجارة رأسها بفضول وقبل أن تعود تترك رمادها في ذمة الهواء الذي يعيد لي إصبعي فأشير إلي وكأني لا أراني.. ألوك دهشتي وأظل أشتعل لألتحق "ببقيتي" الهاربة من فتحة النافذة.. هل تراني الآن يا رأس محمود..!

إن السيارة لا تسير وكوب الشاي فارغ وصاحبي وصاحبه ليس لهما وجود وزمرة المفاتيح التي تهتز أمامي تحتويني وكأني رمز لنهاية الأشياء القابلة للفتح.. أنت وحدك يا رأس محمود من يعلم بأني دمية تحاول باستماتة إسماع صوتها للوعي الأصم.. ها أنت تختبئ خلف أسوار القدرة وتتركني أتسلق حبال الكذب القصيرة لأتعرف بعد كل سقطة على رأس بلا جسد يهذي عن الثرثرة بألف لغة خرساء..!
سأتركني " كلي " الآن في ذمة الهواء يا زميلي..
لأتحول إلى ذبذبات نزقة ترقص بهستيريا على مسرح تلفاز معطل..
وحين تمل من الصمت قل لأول أعمى تقابله
(لو كنت تبصر لعلمت أنه أعمى)

30
من الذي حرك قطعة الكليجا

(الخوف أصم)
نهضت على صوت سيارة الإسعاف... لبست العباءة بسرعة وخرجت فزعة. فتحت باب الدكان , رآها صاحب المحل وأخرج الهاتف بسرعة من تحت الطاولة. رفعت السماعة وراحت تضرب الأرقام بهستيريا . نزع صاحب الدكان

السماعة منها بشفقة وضرب الرقم بنفسه وأعاد لها السماعة.. نفسُها يسير بتوافق عجيب مع رنين الهاتف
ـــألو..
ـــ عبد اللّه ! الحمد للّه..
ـــ يا أمي أنا بخير.. هل مرت سيارة الإسعاف؟
ـــ انخلع قلبي يا ولدي..

بالمساء يطرق الابن باب جاره , ويطلب منه أن لا يشغل "ونّان" سيارة الإسعاف..

تنهض الأم بسرعة , تدخل الدكان وتضرب رقم هاتف ابنها
ـــنعم..
ـــ عبد اللّه..
ـــ لا إله إلا اللّه ! هل سمعت سيارة الإسعاف؟
ـــ لا.. لكني رأيت سيارة الإسعاف تخرج بسرعة و"ونّانها" متعطل..

*****
(على قيد الذاكرة)

أوقف سيارته أمام منزل صاحبه أنتظره قليلاً... لم يخرج صاحبه , تحرك ببطء. لم ينظر للمرآة.
سار بالسيارة ببطء وهو يمسح المقود وكأنه يحاول التأكد من استدارته..
أوقف السيارة أمام أحد الدوائر الحكومية . كان يضطر للوقوف لكي يحيي أحد الموظفين و يتابع سيرة.. دخل غرفة "الصادر والوارد". رفع الملّفات وجلس على الكرسي. أحياناً يسرق الملفات من أيدي الموظفين ليكمل إجراءاتها. المدير العام دائماً ما يقول له " لأعمال المخلصين رنين لا تسمعها إلا آذان الأوفياء .
وأنا من الأوفياء يا أبو سالم".
انتهى الدوام. رتب الملفات وأخذ بعضاً منها ووضعها فوق كرسيه. ركب سيارته وسار حتى وصل بيت صاحبه... توقف قليلاً ثم تحرك مرة أخرى..

سأل أحد السكان الجدد جاره
ـــ ما قصة هذا الرجل يا أخي.. كل يوم يقف أمام بيتي؟!
أطفأ الثاني سيجارته وقال بشفقه
ـــ كان يسكن في بيتك هذا مسن أعمى وهو صاحب هذا المسكين ورفيقة بالعمل يذهب معه ويعود معه.. توفى الأعمى قبل أربع سنوات ومازال صاحبه يقف أمام بيته كل صباح وكل ظهر.
ابن أخي يقول لي أن المسكين يذهب كل يوم إلى عمله ويوقع على دفتر الحضور مع أنهم
" قاعدوه".
ـــ هذا الرجل يعيش حياةً "ميته"
ـــ لا.. إنه ميت يعيش "الحياة" !

******

(هل تعلم؟)

قال لصديقه "باعتزاز لا يعلم مصدره"
ـــهل تعلم أن للقمر وجهاً آخر لم يشاهده البشر أبداً ؟
ـــ نعم أعلم.
ـــ وكيف علمت , والبشر كلهم لم يروا الوجه الآخر من القمر ؟!
ـــ هذا بسيط.. ألم تقل أنه هناك وجه آخر للقمر لم يشاهدوه البشر ؟
ـــ نعم قلت هذا.
ـــ إذاً هناك وجه آخر للقمر ! يا أخي هذا لا يحتاج إلى ذكاء!
صمت الأول وراح يفكر , كان يخشى أن يسخر منه صاحبه إن هو قال له أنه لم يفهم.
بعد أن طال صمته قال لصديقه
ـــ هل تعلم أن للقمر خمسة وجوه والبشر لم يشاهدوا إلا وجهاً واحداً فقط؟

ــــ نعم أعلم.
ــــ أنت تمزح ! كيف علمت ؟
ــــ بنفس الطريقة التي علمت بها أن للقمر وجهاً آخر.
ــــ ياه... طريقتك في استخدام عقلك مثمرة جداً يا صاحبي..
أجاب الثاني باعتزاز يعلم مصدره
ــــ مشكلتك يا أخي أنك لا تقدر عقلي الفذ وذكائي الخارق !

بعد دقائق قال الثاني لصديقة "باعتزاز لا يعلم مصدره"
ــــ هل تعلم أن من أكتشف قانون الطفح هو ارخميدس ؟
ــــ نعم أعلم
ــــ كيف علمت ؟!
ــــ ألم تقل أن من أكتشف قانون الطفح هو ارخميدس؟
ــــبلى قلت هذا.!
ــــ حسناً هو ارخميدس إذاً.. كما ترى الوضع لا يحتاج إلى مثل هذه التعقيدات !
ــــ إذاً اسمع هذه : هل تعلم أن ارخميدس كان يأكل الدجاج المشوي أثناء اكتشافه قانون الطفح؟
ــــ أي نعم أعلم.
غضب الثاني وضرب الطاولة بقوة
ــــ وكيف علمت أنه كان يأكل الدجاج المشوي أثناء اكتشافه قانون الطفح ؟!
ــــ يا أخي سهله . لأنه كان "يطفح" الدجاج هذه أولاً , وثانياً أن الدجاج قبل أن يحول إلى طعام يعرف السباحة.

بعد دقائق أتى صاحبهم الثالث وقال بعد أن استراح في جلسته
ــــ أريد أن أعرف , هل أتت الدجاجة قبل البيضة أم أتت البيضة قبل الدجاجة ؟
قال الأول بصوت عميق
ــــ كل ما اعرفه أن "القط" أتى بعد أن تكاثر الدجاج ... و إلا كان قد أكل الدجاجة الأم !

قال الثاني بعد أن غرق بعمق الأول
ـــ السؤال الأعمق هو : هل أتى القط إلى هذه الدنيا لكي يأكل الدجاجة ؟ أم أتت الدجاجة لكي تهرب من القط ؟

فجأة خرج صاحب القهوة ومعه عصاً غليظ , هرب الثلاثة بسرعة وهم يسمعون "المعلم" يصرخ.
ـــ ...الحشاشين يتحدثون عن كل شيء إلا عن دفع الحساب!!

******

(غرق..)

يضع يده فوق الكوب . يرفع يده محاولاً تشكيلها من جديد. يقمع غضبه الداخلي. ينفجر أخيراً ويصرخ بجنون " لست صلصالاً !". ينتبه الناس إلى صرخته المزعجة . يخجل هو من نفسه
فيضع الحساب على الطاولة ويغادر وهو ممسك بالكوب. يتبعه العامل ويسأله بأدب أن يترك الكوب. يدلق الشاي بعدوانية ويرمي بالكوب على العامل. غريبة هي الوجوه الهامسة وغريب هو بينهم. يدخل يده في جيبه وهو لا يعلم عما يبحث. عن حبات رمل أم عن قصاصات قديمة؟
لا شيء منطقي , لا شيء في المقاهي إلا المحاولات الفاشلة لتذويب النعاس مع المنبهات.
(إلى أين.. الآن؟) يرمي علبة السجائر الفارغة ويرمي معها سؤاله. أمام هذا البحر يوجد شخص آخر في الضفة المقابلة يسأل بلا رغبة بالجواب (من هناك..) غبي هو الموج يأتي من بعيد حاملاً الأماني المقدسة.. وإذا وصل انتحر على الصخور معاقباً نفسه على ترك الأماني غارقة في منتصف الطريق ! هو يبحث الآن عن أماني من "خشب". الأشياء الرخيصة غير قابلة للغرق.
يتمتم بألم (هل اقدر على الغرق؟). ينحسر البحر أمامه.. يعصر ذاكرته.. يستجديها
تذكر الآن أن حصيلة سعادته "ومضات" فقط!. أدار ظهره للبحر وسار..سار..

حتى غرق !

******

أنشودة للرحيل..

في الرياض الليل ممزق بالمصابيح..الأرض مشوهة بالاسمنت..السماء ملوثة بالدخان..والعين مغمورة بالدعايات.. والعسكر يحومون في الطرقات يفتشون لحى الملتزمين وعيون السكارى والمساطيل.. وهو يهيم على وجهه بين المدن.. يبحث عن أي حجة ليملئ السيارة بالوقود وينطلق.. ما أطول هذا الدرب.. من يبحث عن علاج لقلبه بالحلم الذي يهرب فيه منه.. لن يصل بيوم ولن تتحد أبداً أضغاث قلبه..
نظر لمقود السيارة الدائري.. الذي لكمه واحتضنه ونام عليه.. طلب منه أن يقرأ دعاء السفر.. إلا أنه لم يقل شيء.. الطريق فقط من كان يردد :
الآن تنتهي أحلامك على أبواب واقعك..الآن يرتعش قلبك كلما حاولت لمسه..
الآن تتلاشى في سديم حزنك..الآن تهزم..
والآن تبدأ من جديد

هكذا كانت الأشياء تغني للقروي الذي يعاني قلبه الجفاف وتكافح عيناه الغـرق..

31
الليل ليل والنهار نهار..

ما الاختراع إلا إرساء للفكرة الموجودة منذ الأزل. فكر أجدادنا من قبل بالطيران .و حاول جدي عباس أبن فرناس رحمه اللّه أن يطير فعلاً !. وما الفكرة بالأساس إلا اشتقاقاً من الواقع. نظر البشر إلى الطيور ففكروا بالطيران. مما يعني أن ما يحدث هو محاولة أخذ مزايا الموجودات حولنا فقط.

هذه الوحدة موحشة تشعرني باللاجدوى. حتى أفكاري أصبحت تنتج من أجل أهداف بائسة.. إني الآن أنا أفكر بسطحية الفكر , إني صعلوك وقح يحاول تهميش الفكر عن طريق التفكّر؟.
صورة الركاب ضبابية ؛ كثافتهم "ذرية". لا أعلم ما قصة "ذرية" هذه إلا أنها تبدو لي مقياساً دقيق!. ترمقني المضيفة بنظرة متوددة وتطلب مني بوقاحة ترتدي الثياب الأنيقة أن أجلس بمقعد آخر. أسألها إن كان بجوار النافذة فتهز رأسها "بدبلوماسية". حتى هز الرأس عِلم يدرس.
سمعت المذيع يقول "السلك الدبلوماسيَ.." , إنهم حقاً يجيدون فن التدلي كالخفافيش . ونحن نعجز أن نرسي أقدامنا على أرض "الرزق" الواسعة. تمنيت أن يكون جاري مزارع أو موظف بالبريد. فهما الصنفان الوحيدان من البشر اللذان يجيدان فن الثرثرة عن الطقس.
سألته وأنا أحملق بهاتفه النقال :
ــــ هل تعمل بالبريد ؟ .
ألتفت بسرعة وكأنه لم يعلم من قبل أني بجواره
ــــ هاه..؟ البريد... لا.
كان السؤال ينضح بالغباء المركب. كيف سأكمل الحديث معه الآن ؟
ــــ نعم.. أتعلم , البريد شيء جميل هذه الأيام.
قلت له هذا وأنا أنظر إلى المضيف وهو يقدم التمر مطعوناً بالمناقيش. هل يتصورون أن الراكب سيستخدم المنقاش بعد تناول التمرة ؟ حتى إن فعل فهو سيقدم على هذه الحركة المضحكة لكي يتشفى بأسنانه !. هذه التمرات المسكينة

ذكرتني بمثل البخلاء " وما العصفور ؟ وما مرقته؟".
انتبهت على ضحكة جاري الشامتة
ـــ نعم البريد جميل هذه الأيام!.
تبدلت ملامحه وغير لهجته بشكل غريب وعاد يتحدث بهاتفه. هرشت ذقني وقلت بيأس
ـــ ولست مزارعاً؟.
تأفف ونظر إلي بعدوانية
ـــ لست مزارع , ولا أعمل بالبريد , وأظن أنك تعرف ولكنك تتغابى !.
رفعت غطاء النافذة وتجاهلته . وكأن أكبر همي معرفة عمل هذا الحمار. قلت بتحد
ـــ كما تعلم..هناك الكثير من الأعمال بين البريد والزراعة.
كنت أرفع صوتي كلما حاول التركيز مع من يحدثه بالهاتف . أغلق الهاتف وصرخ بغضب
ـــ هل تعرف نادي "الهلال" ؟ ألا تعرف اللاعب "....." أنا هو !.
ـــ آه , أعرف نادي الهلال , إني أحبه كثيراً.. حتى أنت يا أخ "...." أحبك وأعتبرك أفضل حارس بالعالم العربي والإفرنجي حتى.
ضغط على أحد الأزرار وأتى المضيف بسرعة . أخبره جاري المشهور أنه يود أن يبدل مقعده
و إلا قفز بالمظلة. بعد أن سحب حقيبته من الرف قال بحسرة
ـــ أنا مهاجم ولست حارس مرمى ! لا أصدق أنه يوجد أناس مثلك !.
بعد دقائق أتت المضيفة وأخبرتني أن مقعدي في الدرجة "السياحية" لا "الدرجة الأولى"
سألتها إن كان المقعد هناك أيضاً بجانب النافذة رمقتني بنظرة مؤلمة وأرشدتني إلى مقعدي. سألت جاري الجديد بتلهف
ـــ هل تعمل بالبريد يا أخ؟.
ـــ وهل هذه يد موظف بالبريد ؟!.

كان الحديث عن الطقس جميلاً جداً , لأنه مزارع ولأننا نتحدث عن الطقس ونحن معلقون بهذا الاختراع الخطر. يجب أن لا يخجل أي شخص من إظهار

خوفه من الطيران . فهذا شيء ضد الطبيعة وقوانين التعاسة السائرة على الأرض. أين قوانين الجاذبية والاحتكاك الآن ؟.
لا أحد يعلم أين تهرب. ولكنها دائماً وأبداً تنتظر ركاب هذه "البلوى" الطائرة على المدرج.

سألت جاري "البروليتاري"
ـــ هل تعرف لاعب فريق الهلال "...." ؟.
ـــ بالطبع , ومن لا يعرفه ؟! , إنه أفضل حارس مرمى بالعالم كله!.
أحب هذا الشخص , فهو بكل بساطة أنا عندما أكون في مقعد آخر..

32

القرقرولوجيا..

إني أكتب كل هذا بمقهى (الأمازون) وأتقاسم الضوء الذي يبث لي كل صورة محبطة مع هذه التماسيح الشريفة والماجدة. قبل هذا كنت أظن بأن أسم المقهى (الأوزون) وكلما قابلت صاحب المقهى عبت عليه تصرفه (اللابيئي) حيث يسمي مقهاه على شيء يحاول ثقبه..!! كنت أود أن أكمل لكم نقاشي الجوهري مع صاحب المقهى إلا أن حدثاً استثنائياً جعلني أفلت قلمي لأمسك بالريموت من عنقه وأضغط على زر الصوت لأسمع صوت الرفيقة المناضلة (هيفاء) ملعلعاً مالئاً المقهى بألف (آه) لوعة وعذاب وهي تغني (أنا هيفا.. أنا), اتخذت جميع الأعين شكلاً هندسياً مربعاً وصار جاري يغني مع هيفاء (وأنا رايح وطي أنا).

بعدها نهضت لاعناً مقهىً حولني إلى " مربع " وحول جاري إلى (وطي) وقفلت عائداً, مع أني لا أعرف كيف يصح لي أن أقفل عائداً وأنا لم أفتح ذاهباً..! ولكنه مجاز بريء لا يحمل أي معنى خبيث.. لن تصدقوني على كل حال..!!

إني الآن..في مقهى (الفوازية) الحبيب الذي لا يطرد رواده بدم بارد ولا ينتهج النظام الرأسمالي الامبريالي البائس ولا يبيع (براد أبو أربعة) بعشرة.. هذا المقهى العزيز لا يقبل بطاقات (الفيزا) ولا (الماستر كارد) ولكنه يقبل صرف (الحساب يوم الحساب) التي لم أبخل يوماً بدفعها.. ولولا وجود (قرقر) فيها لأصبحت مزاراً سياحياً وكنزاً قومياً وتراثاً إنسانياً..!! إن (قرقر) هذا رجل ثرثار لا يدخل المقهى إلا على (صهوة) صاروخ لا لكي يصف الأسفل من الأعلى أو ليتأمل الفجر حين يصيب هذا الليل الرديء بالبرص.. بل لكي يحول اللغة من منظومة إنسانية تخلد الوجود البشري, إلى أداة تعذيب سيكولوجية..لو تسنى للعلماء رؤيته أثناء طيرانه العبثي لاكتشفوا مرضاً جديداً وأسموه الـ(قرقرولوجيا) !!. جلس بجاني وقال بسرعة كعادته
ـــ أين كنت يا رجل.. يقولون بأنك كنت بالمستشفى.. هي (حصوة) إذاً..؟
قلت بيأس مدركاً بأنه سيقاطعني
ـــ نعم في مرارتي التي ستفقعها..!
قال بلهفة
ـــ ما احتمالية وجود (حصوة) في المخيخ ؟. لو كان الإنسان يشرب الماء العكر وهو واقف على رأسه هل سيصاب بـ (حصوة بمخيخه)؟ أظن يا صديقي أنك لو كنت تشرب الماء واقفاً لكانت الحصوة التي (زرطتها) مع الماء نزلت واستقرت في قدمك اليسرى لكونها أطول من اليمنى.. ولكن ولأنك كنت تشرب الماء (مضطجعاً) نزلت هذه الحصوة واستقرت في مرارتك.. ولكن قرأت في أحد الجرائد بأن الحصوة قد تأتي نتيجة لضعف الغلاف الجوي المحيط بالإنسان..! تخيلاً مثلاً (يا أبو المفهوميه) لو رمى أحد أطفال زحل (حصاة) في ليلة كان فيها القمر (قيد رمح)...

حينها لم أستطع متابعة الاستماع إليه وبدأت أتخيل بأن (قرقر) ممسكٌ

بأسكلايبوس من أذنه ويجلد مؤخرته بقوة بعصاه المعوج بعد أن تأكدت بأن رأسي بدأ يتضخم فعلاً ويتحول إلى (رأس نووي) قاطعته برعب
ـــ أشعر بالنعاس..! أريد أن أنام.. وداعاً..

نهضت لا أطمع بشيء غير النجاة بما تبقى لي من عقل وأنا أردد في صدري
وإني لأهوى النوم في غير نعسة *** لعل (فراقاً) في المنام يكون !!
قال بجدية وهو يخزني بنظرة غرًيبة
ـــ تخبرني الأحلام أني أركم *** (وإنّ) أحلام المنام يقين !!

يا للهول, لقد وصل لمرحلة يستطيع بها أن يسمع مالا أنطق به..!

حين وصلت إلى الشقة رفعت سماعة الهاتف وأقفلت الجوال وفتحت التلفاز ومن ثم وضعت رأسي على المخدة وتركتها تسحب رأسي بخبث لتهربني من عالم اليقظة.. كان حلماً (نمطياً) في أوله خرج لي جني الإبريق على الطريقة التسويقية الأمريكية وأخبرني بأنه قادر على تلبية ثلاث طلبات, هرشت رأسي وقلت بمكر
ـــ أريد أن تحقق لي مليون طلب
أدخل يده في الإبريق وأخرج منه مطوية طويلة وقال
ـــ كان غيرك أشطر يا باشا !! البند رقم (14588) من القانون المدني يمنع هذا الطلب (في حالة طلب رجل أصلع يضع نظارات مقعّرة أن تحقق له مليون طلب يلغى هذا الطلب ويحذر تحذير أولي).
هززت حاجبي وقلت بانتصار
ـــ طيب , أطلّب منك أن تغير هذا القانون..!
ـــ كان غيرك أشطر يا غبي فالبند رقم (14589) من قانون العقوبات الجزائية يقول (لأن الرجل الأصلع ذو النظارات المقعرة غبي ومخه غير مهيأ للطاعة سيطلب منك أن تغير هذا القانون وحين يقدم على هذا التصرف المتهور سيفرض عليه غرامه وقدرها مليار جنيه إسترليني).. أهناك طلب ثاني ؟
ـــ نعم.. سدد الغرامة لو سمحت ..!!

بعد هذا الحلم شاهدت عمي الذي وصاني أن أسقي النخل في (قليّب ثابت) وهي مزرعة حولت قبل عشر سنوات إلى بقالة وحلاق واستراحة (عزوبية) ومن ثم التقيت برجل قال لي شيء غريب وحين سألته عن معناه قال لي
ـــ اتصل على 7009558844 لتعرف الإجابة !!.

حين هممت بالنهوض سمعت ضجة في المنام.. فعزمت ألا أنهض قبل أن أعرف سبب ازدحام الأموات وعفاريت التسويق.. بعد أن وصلت للمكان؛ وهو عبارة عن مسرح كبير فيه مايكروفون وأربعة أعلام كتب عليها (الحزب التقدمي القرقوري) خرج (قرقر) ووقف أمام المايكروفون وصار ينظر للحضور, بعد مرور دقائق على صمته بدأ الجمع يتهامسون, حينها هتف قرقر

ـــ فالتحيا الأمة.. والمجد للتيار القرقوري..!
بدأ الحضور يهتفون له ويرددون (بالروح بالدم نفديك يا قرقر).. كنت أهتف معهم كي لا يكشف أمري لأن أحد الحضور أخبرني بأن الرجل الذي خلفي (مباحث) ألتفت ورسمت ابتسامة (حمورية) ونظرت إليه جانبياً بعينين مغرقتين بالدموع, لأريه كمية الحب والحنان التي أحلمها للأخ الرفيق صاحب الفخامة إلخ إلخ.. بعد هذا مشى قرقر على المسرح وكأنه ضبع محبوس.. فجأة أنتفض وأمسك بالميكرفون وقال :
ـــ (الشمبرقر) هذه الكلمة ستربط الشرق الفقير بالغرب الغني وستكون فكراً وطرحاً مضاد لأطروحة (صدام الحضارات) وحتى لـ (لقاء الحضارات).. نعم وربي إني أحدثكم الآن عن نظرية (التهام الحضارات)..! فحين نأخذ (الشاورما) على أنها مجتمع بحثي أو " عيّنة" من المجتمع البحثي, نجد أنها عبارة عن " مدخرة" طاقة يستخدمها العزاب والمهجرون والمعذبون في الأرض, فأنا زعيمكم الأوحد وقدركم النهائي لم آكل في سنين شبابي المليئة بالكفاح إلا الشاورما.. إنها سبب بقاء جوهر الشاب الشرقي نقياً رغم كونه (حافياً ومنتفاً) ,ولأن الإنسان وخاصة الفقير يعيش بين ضنك الحاضر ومتسع المستقبل, فهو أداة سهلة للغوغائيين المحرضين على الفتن وشق عصا الطاعة, كما أن لهم قيمة معنوية يجب على الأغنياء أن يحترموها ويجلوها فلولا وجود الفقير لما كان الغني غنياً.. لذا لا بد أن يتحاور معهم الغرب الغني ليتجنب غضبتهم بدلاً

من تحاوره مع (أكلت الكباب) الذين لا يمثلون الضمير الشرقي.. لذا كان واجباً على الغرب الذي يتشارك مع البعوض وشركات الاتصالات امتصاص دمائنا أن يعلم بأن المدخل الحقيقي للتعايش السلمي معه هو عن طريق نظرية (التهام الحضارات), وحين تأكل البشرية الـ (شمبرقر) ستبدأ عملية الاندماج الكبير وسترى البشرية أفقاً أوسع للازدهار والرقي.. معاً يا سادة من أجل (شمبرقر) يوحد الإنسانية..!!

كان الجمهور يصفق بهستيريا حتى أن تصفيقه الحار ثقب المنام وتسرب إلى اليقظة, وبعد أن أزعجني الصدى المحمّل بالتهديد والوعيد من العالم المقابل نهضت لأشاهد على التلفاز جمعاً من البشر يهتفون لقرقرٍ آخر بالروح والدم..!!

33

نداء إلى الكواكب الأخرى..

زرع.. يزرع.. ازرع.. حرث.. يحرث.. احرث (يا حمار) هذه إضافة من الأخ (قم للمعلم)

كما سمعتم يا سيادة المخلوقات الفضائية, هكذا يتعلم أبناء شعبي, وكلما تقدم الدارس في مراحل التعليم كلما كان النعت أعمق, مثلاً في المرحلة الثانوية يقال (يا كرتون بصل خربان.. يا أربع فناجين مكسرة) وهكذا, الأمر الذي أود أن أحدثكم عنه, هو أننا في هذا الكوكب المليء بالصينيين والأشياء المسببة للموت نسعى لغرس قيم التورط مع الأرض في نفوس الأطفال والناشئة, وهذا الاتجاه جاء بعد اجتماع سري جمع الطواغيت والجبناء منذ سنين ضاربة في القِدم ..

ولاحظوا يا سادة يا فضائيون أن القدم عندما تكسر تصبح ذات دلالة زمنية بائدة..

" الأصلع ينادي كوتو موتو.. هل تسمعونني ؟ "

نعم سأكمل.. هناك فقرة تربط هذا الحديث بالحديث السابق, سقطت أثناء التشويش الكوني.

أنتم لا تعانون مثلنا من أمراض الدوار الانتمائي وما يصاحبه من غثيان لأن كوكبكم مربع بينما نحن فكوكبنا دائري, بالأصح بيضاوي, وبيضاوي مأخوذة من البيضة, من المضحك أن نترك جميع الأشكال التي تتفق مع شكل كوكبنا ونأخذ البيضة! قبل هذا كله, هل تعرفون البيضة؟ أنها محاولة طموحة للحياة بين ملايين المخلوقات التي تحب (الشكشوكة) أظن بأنه يوجد في كوكبكم دجاج..هل بيض دجاجكم مربع؟ أعتذر لأني أتحدث معكم وأنا جائع جداً حتى أنه يصور لي أن هذا المذياع ليس إلا (كوسة محشية) إني أحب هذه الطبخة وأتمنى من أعماق قلبي أن يكون في كوكبكم مخلوق الكوسة أو على الأقل بديل مماثل, أوه نسيت بأنكم لا تمارسون الإستقلاب كما نفعل. على كل حال سآخذ معي من كل وجبة صنفين لأزرعها في كوكبكم العقلاني.. لو كانت أرضنا تنبت كل ما يدفن فيها مثلكم لأنبتت الملايين من الأبطال.. لا يهم يكفي أنني سأزرع نفسي في مربعكم الجميل...

" الأصلع ينادي بغضب الأشياء الفضائية !! هل تسمعونني ؟ "

لكم يحزنني أنكم لم تصلوا بعد لمرحلة التقدم التقني التي توصلنا إليها, بدأت أشك بأن أصولكم عربية !.سأحدثكم عن العرب فيما بعد دعوني أكمل الآن.. كنت أقول أثناء مرور أحد المذنبات بأني رجل شاعري بشراسة وأحب التسكع وأنا ممسك بوردة بلاستيكية وهذه هواية استحدثتها لأعطي للبشرية أفقاً جديداً للهوايات التي تنحصر على ركوب الخيل وجمع الطوابع.. أعذروني فهذه الثرثرة تأتي كنتيجة حتمية لحالة الصمت التي أعيشها بين زملائي البيولوجيين, هناك حكمة لم تتقيد بها المرأة في كوكبنا وهي (الصمت من

ذهب) إن المرأة ذكية جداً فهي من تركت الصمت للرجال ولبست الذهب!
والذهب هذا من أفضل نواقل الكهرباء والجشع,والعجيب عندنا يا بني فضاء
أن مفاهيمنا تثبت بنقائضها, فالصمت لا يبجل إلا بالحديث والعقل لا يستشف
إلا من الجنون. أحب أن أخبركم بأنه نتيجة "لبيضاوية" كوكبنا فقد أصبحت
الساعة الآن تشير إلى الرابعة صباحاً (لا أدري حقيقة إن كان لبيضاوية
الأرض علاقة مشبوهة مع عقرب ساعتي ؟). إن المؤامرة عندنا هي من تحث
الديك ـــ وهو الزوج الغير مخلص للدجاجة ـــ على الضرب بجناحيه قبل أن يهم
بالآذان, فهي ـــ أي المؤامرة ـــ تبدأ صباحاً وتشتد حبكتها مساءً , وفي المساء
لا أحد يضرب بجناحية أو بوسائل تعبيره ليعلن عن انقضاء المؤامرة.الشيء
بالشيء يذكر كما نقول نحن , فالعرب هم أكبر سوق مستهلك للمؤامرة.. فمثلاً
عندما قام وزير الزراعة في أحد بلدانهم بشراء مبيدات تالفة جعلت الجراد ـــ
وهو مخلوق لا يستفيد بتاتاً البتة من طعامه ـــ يستمتع بحاسة الشم (إن كان
يملكها) أثناء تحويله للمحاصيل الزراعية إلى شيء يشبه رأسي ذات لمعان,
سارع مفتي الديار هناك إلى تحليل أكل الجراد وكتبت الصحف الوطنية
الأصيلة بالخط العريض (من أكل الجراد أدرك المراد), وقالت نقابة الأطباء في
البلد (الجراد بديل بروتيني فعال),ولكن بعد أن همس أحد المواطنين (مؤامرة
) سارعت الصحف باتهام وزير الزراعة بأنه تعاون مع إسرائيل واستجلب
الجراد لكي يفسد المحاصيل, فحوكم على الفور وأخذ العرب يلعنون الوزير
الخائن والجراد المتآمر وإسرائيل ولكن أحداً لم يلعن الذين اتفقوا مع الشيطان
نفسه ليجلبوا إسرائيل...

" كوتو موتو... كوتو موتو... حوّل.. حوّل..!! "

....

.. ..

تباً..!!

الآن فقط تأكدت بأنكم لست إلا عرب تسكنون في كوكب مربع !!

34
لست النسيان ولن أهتف النجدة

للقصيدة :

حتى أنت..!
الآن عدتَي..؟
..يا شقوة اللحن المصلوب في شفتي..!!

سأكتب لصديق طفولتي ورفيق دربي " محمد " ذو الرأس الكبير المليء بالحكمة :

يقول روجيه جارودي في كتابة الذي سرقته منك, بأن (الإنسان لا يتعرف عليه من بقايا عظامه بل من أدواته التي استخدمها أثناء حياته), قد أكون غبياً لأني على قناعة بأني أعيش بأدواتي رغم أن الأكثرية يعيشون لها, مادام الظن يسبق جميع قناعاتي فلن أصل لمرحلة النجاح أو حتى الفشل القاصم الذي ينتزع مني جميع رغبات النهوض والذي يحول ألمي إلى غيبوبة أعيش فيها سقوطاً سرمدياً لا نهاية له. محمد وكأني بك الآن تضحك تنتظر أن أقول لك (النجدة).. حسناً..
: النجدة ..!!
.

خلف هذه الباب الصغير يقبع رجل قصير ونحيل ينتظر مني نظرة واحدة أو إيماءة رأس, وإني أسمع صوت حبيبات المسبحة وهي تنطحن براحة يده المستنفرة ولا أدري أي شيء سأخبره, هل يعلم بأني طاقة " هروب " تعيد حدوثها في العيون الزجاجية.. هل يعلم بأني خيال أبي الذي لم تقتنع به أمي.. هل يعلم بأني " أعيشني " لثلاثة أحرف تسكن أسمي.. حين أتوقف عن

الكتابة (البوح) سأبحث عن تلك الأحرف وحين أجدها سأنطق اسمي باحتفالية وكأني مكافأة أبي التي أماتته فرحاً.. إني أهلوس الآن وأبحث عن أي حبكة لأتركني في ذمتها.. سأظل أهذي حتى أجد واحدة..!!

وعندك واحد حبكة وصلّحه..!!

على الكورنيش
كنت أشاهد عامل النظافة يهز رأسه وهو يطلق تلك الصرخة الغريبة ومن ثم يتحدث "بالأوردو".. لا أدري كيف استطعت أن أفهم حديثة كله رغم أني لا أعرف حرفاً واحد بالأوردو, كان عقلي الأهوج يقوم بعملية ترجمة فورية ترتكز منطقياً على قسمات وجهه وجسده المهتز والطقس البارد, في البداية كنت أخبره بعد كل جملة بأني لا أفهم حديثه إلا أن لا مبالاته ركلت عقلانية عقلي لتحوله إلى أداة ترجمة عبثية

ـــ شاي..؟
هز رأسه بعنف, فهززت رأسي مثله وأنا أضحك وجلسنا نحتسي الشاي سوية ونتحدث بلغتين مختلفتين عن شيء واحد. بعد أن أنهى كوبه صافحني بحرارة وذهب ليكمل عمله أما أنا فتركت كوبي على حافة الجدار القصير وأصلحت هندامي واتجهت صوب فتاة تسير بغنج وترسل بين الحين والآخر نظرة محرقة.

ـــ ممكن..؟
لم تعرني أي اهتمام وتابعة سيرها غير عابئة بي. هرشت رأسي بقوة لأتأكد من وجودي, ومن ثم قلت شيئاً في صدري, وحين تأكدت بأني أسمعني سرت خلفها بسرعة وقلت بحذر
ـــ لحظة لو سمحتي..
توقفت وقالت بخشونة
ـــ نعم ؟!
ـــممكن.. .. ؟.
أي شيء سأقول.. أي أمرٍ سأطلب ؟ ..شيئاً من العاطفة.. ابتسامة لوجه الله..

حب من أول نظرة مع سبق إصرار وترصد لهذه النظرة ؟.. أي هراء قادر على درء حماقتي..؟. تفككت رغبتي المجهولة وأشهر الغباء لواءه في وجهي.. فصرت أضحك..!!

أطلقت زفرة غاضبة وقالت بعصبية
ـــ ممكن إيش !؟.
أطلت النظر إليها وقلت بعد أن أدركت خيبتي
ـــ.. لا شيء

تركتها على حافة الانتظار تماماً مثل كوب الشاي.. ألا أنه كان يبرد بينما كانت تشتعل.. بعدها أحسست بشعورٍ غبي وجميل يتسلل إلى قلبي حتى أني تمنيت لو أمسكت بيد الجرذ الذي ًمر أمامي ورقصت معه " التانقو ".
بعد عشر دقائق من التسكع أمسكت بقطعة فحم وكتبت على الجدار الأبيض القصير (إني أحب الذين لا أحبهم لأنهم لا يكلفوني عناء الابتسام).. وبعد أن سرت قليلاً أتى مراهق ذو شعر مجعد وكتب اسمه تحت عبارتي.. استنفرت أصابعي وأخرجت القلم وكتبت على راحت يدي, بأن الروح بالأصل مادة حزينة يشعلها البكاء.. والعقل مادة ساخنة تكثفها الدموع.. لذا لن "أشتعل لمدة أطول" ولكني سأغادر "مشتعلاً". أرخيت أصابعي وتركت القلم يهوي ليطعن خطاي.. تركته يذهب " هكذا " بكل كرم.. وقلت للذين لا أحبهم بأن كل التفاصيل الصغيرة بيانات روحية ينتش العقل حين يقرؤها فيتخبط ليفضحٍ فكراً مكتوماً.. وأن روحي تُسكر عقلي فينفجر ضاحكاً ويسرد الكون لها (هراءٍ فانياً ذو شكل هندسي معدوم).. فتبكي بحرقة ويضحك الوغد أكثر.. وأني أنا الشيء المسكين القابعٍ بينهما.. حين أضحك أبكي وحين أبكي أضحك..!!.
.
انتهت الحبكة.. هل تنتهي الحبكة..؟!
النجدة
محمد هل قلت لك (النجدة) ؟
إذاً.. عُد
فلقد أتيتُ معك..

أحياناً أنسى أنني " أنسى "
..
حين تنسى أنني " أنسى "
لا تصدقني..
كي لا أعيث فيني " شكاً "..!!
..لو لم يسقطني ذاك الذي " يكتبني " لأكملت.!!

35

تحديداً لا شيء..

الشمس تكرهني.. لا أدري لمَ تكرهني لدرجة تحاول بها إحراق صلعتي البهية حين أتسكع تحتها مرتدياً نظارتي الشمسية التي استعرتها قبل قرن من صديقي الذي ذهب لجزيرة لعينة في آخر الدنيا.. هل تشرق الشمس على جزيرته وهي تحمل ذات البغض على الصعاليك الذين لا يملكون إلا " الاستعارة ".. لو كان القمر يحاول إثبات وجهة نظرة بشكل غاضب كالشمس لكان البشر يتسكعون بالليل وهم يرتدون نظاراتهم القمرية.. لعل الإنسان يخترع كل شيء فقط ليتجاهل العالم أكثر..

• لم أعد أدري بما يجب أن أفكر.. لم أعد أدري إن كان يوجد أي شيء تحت بند الـ" واجب " بعد الآن.. كل أشيائي الصغيرة هربت أو تداعت.. لم أعد أملك شيئاً.. إني مجرد الآن كصخرة لم ينقش عليها شيء.. لقد نجوت ولكن لم أعد أدري لمَ أقدمت على هذا الكفاح المسلح من أجل أن أنجو فقط.. لا أدري لمَ أشعر الآن بالمعنى العميق للسخرية..

• حين أضع يدي على عيني سيختفي كل شيء.. المشهد والشخصيات والمكان والكون.. إن يدي سحريتان.. ولا يوجد خلفهما إلا الظلام.. هل تعرف الأشياء المخفية أنها لا ترى.. هل تستمر الأشياء في الحدوث بالظلام.. هل يعلم الظلام أنّ عيناها نجمتان أسير نحوهما لأخترق كل هذا السواد.. هل يعلم أنها هناك في مكان ما.. حيث يعجز العدم على الوجود..

• كان النحل يطوف حول القمامة ويحط بين الحين والآخر على العلب.. لقد تحولت النحلات الوغدة من جامعات للرحيق إلى حشرات قمّامة.. لا أعرف ما الذي يعنيه هذا للطبيعة ولكني سأبدأ بالنظر للعسل بطريقة مختلفة.. كل المخلوقات الذكية تتنازل عن شيء من مبادئها لتبقى.. وحين تفعل ستبقى فعلاً.. ولكن لن تكون لها نفس الكينونة المبررة في مسرح الكون..

• كلما غصت عميقاً في روحي كلما أدركت بأني متورط بشكل مرعب بكل هذا الجمال المجنون الذي لا أدري من أين ينبع.. أشعر بسعادة عارمة تبث الخوف في قلبي.. لا أستطيع فهمي بالطريقة الصحيحة.. ولكن لا أحد ممن أعرف أستطاع فهم نفسه بالطريقة الصحيحة.. لعل " الطريقة الصحيحة " مجرد وصف وقح لقناعة شخص يظن بأنه يعرف كل الأمور الخاطئة.. أشعر بأني أغوص في بحر من الاحتمالات العبثية.. ماذا لو كانت الحياة فعلاً مجرد حلم والأرض سرير والأماني وسائد.. ماذا لو نهضت ذات يوم وأخبرت من حولي بأني حلمت بأني إنسان صعلوك يعيش في الأرض.. ماذا لو ضحكوا حينها وقالوا لي بأني مجنون.. هل كنت سأخبرهم بأني سمعت مثل هذا في الحلم..

• في هذا الجزء من حياتي أكون لا أعي أي شيء.. لعلي غبي أو ما شابه.. كلما حاولت فهم النكت الرخيصة أو تبرير كلمات المجاملة البغيضة أصاب بالخيبة.. أحياناً أشعر بأني مجموعة أشياء تكره كل شيء وتتسكع في كينونة واحدة.. إنني لا أحبني.. إنني عدوي.. لذا لن أتحول إلى منافق لعين لأسعدني.. إنني لا أصدقني على كل حال.. من يعلم لعلني كنت أحاول خداعي فقط..

• كنت أسير بمحاذاة البحر وهو يتقدم محاولاً اكتساح اليابسة.. إن البحر يكرهني مثل الشمس لذا تقهقر ساحباً أمواجه معه حين شاهدني أقف أمامه كالفزاعة.. هل كانت اليابسة ستصدقني إن قلت لها بأني منعت البحر من ابتلاعها.. كانت العصافير والقطط تحثني على التقدم.. على اكتساح البحر.. ولكنني اكتفيت بالوقوف أمامه حين تذكرت بأني لست قطعة من اليابسة..
ما الذي سيظنه البحر بي حين أعطيه ظهري لأشعل سيجارة أخرى.. لعله سيحكي لكائناته بأن الكثبان في الصحراء تشد رحالها مع كل ريح ولكن على كل حبة تراب أن تتدبر أمرها بنفسها.. لعله الآن يحكي لها بأني ذهبت مبتعداً لأتدبر أمري وأتلاشى في كثيب ما.. أو لعله لا يحكي أي شيء.. لعله مجرد بقعة ماء مالحة..
لعلي سأذهب الآن..

36
لا تـوقّـف..

العقدة :
عندما تكتمل الأشياء تذهب للموت.. تدس رؤوسها بمخاوفها وتنتظر.. حتى تخرج الحياة من الغيبوبة وتجمع لا مبالاة الأشياء التي لا تخاف لتصنع بها ذات النقص الذي يكتمل ليموت..

كان العسكري يفتشني بحذر وكأني سأخطف القطار.. وأنا أنظر لشاربه ولا أدري إن كان أنفه فعلاً هو تمثال غروره الذي جعله يضع هذا الخط العريض تحته.. لا أدري أين سيهرب بالقطار من يفكر باختطافه وليست هناك إلاّ سكة

واحدة بالأصل.. من المريك أن تأمر عقلك بالتفكير في نقاط التفتيش ومراكز "عفش الأرواح ".. على المقعد كنت أنظر للعالم الخارجي وهو يمر ببطء وخيبة من خلف الزجاج والقطار يتحرك بخمول.. أخرج جاري العجوز مصحفاً صغيراً وبدأ يقرأ بصوت منخفض.. أسندت رأسي على الحقيبة وأغمضت عيني وصوت العجوز يتسلل بسلام إلى وعيي.. وكأني أتذكر هذا الصوت.. في زوايا الذاكرة توجد أشياء ناقصة ومشوهة.. لا أستطيع نسيانها ولا أستطيع إكمالها.. لذا أتجاهلها وكأنها حدثت لشخص آخر وليس لي.. من المضحك أن أتذكر شيئاً لم يحدث لي..
عندما كنت أتسكع بسعادة بعالم المنام خرج شخص يرتدي بشت من المجهول.. أمسك بيدي وأجلسني على الكرسي الذي انبثق من المجهول أيضاً.. وضع يده على كتفي وقال برقة :
أخي النائم.. أعندك آمال كبيرة؟.. أحلام جميلة ؟.. رغبة ببداية جديدة؟.. عزيمة وطموح؟.. كنت أهز رأسي بفرحة وعلى وجهي ابتسامة غبية وهو يقول.. : كلام كبير.. كلام كويس.. كلام فاضي..!! هناك نظام وقانون وعادات وتقاليد وكلام كبير ثاني.. كنت أختبرك يا أحمق.. هيا اذهب الآن.. ولا تقل مثل هذا الهراء مرة ثانية.. هذا الكلام لا يليق بك.. عيب عليك يا غبي.. أصبر يا أخي أصبر.. حتى نفهم الطموح وندرسه وندخل رؤوسنا في جوفه قبل أن نتهور ونصبح كالأغبياء متسلحين بشيء لا نعرفه.. لابد أن نتأكد إن كانت الأحلام شيء مبرر أم أنها إسراف يؤاخينا بالشياطين.. نحن بالمجمل لا نعرف عن أي شيء تتحدث.. هذا الكلام كما أسلفنا لا يليق بك.. وعيب عليك.. هيا انقلع الآن لعالم اليقظة ..!! رفعت حاجبي الأيسر وبدأت أهرش رأسي وأنا أنظر إليه بدهشة.. كنت سأركله إلا أني سقطت على الأرض لأن الكرسي الذي انبثق من المجهول عاد إليه مع الرجل الذي يرتدي البشت.. صحوت فجأة ورفعت رأسي بكسل لأشاهد المقاعد فارغة والقطار متوقف.. نهضت بسرعة وحملت الحقيبة ونزلت متجهاً إلى بوابة المحطة حيث تنتظرني الدمام..
كان رأس السيجارة يثقب الظلام ويبعث الخطوط البيضاء الباهتة لتخط المشيب على وجنة الليل.. وكانت الدمام تهمس في أذني :
خذ دقيقة من عمرك واحبس بها نفسك.. فكر بالأشياء التي تحبها.. ثم أطلق سراح الموت في صدرك.. وحاول ألاّ تختنق بوحدتك في الدقيقة التي لا تكون

لك..
كنت أسمع هذيانها وأضحك وأنا أشعر بالأمان بين الأرواح الغريبة.. إن الجنون الذي يحوم بدمي يوسوس لروحي لأفتح أبواب قلبي.. فيتبدد الظلام الذي يستعمره مع كل خطوة نحو الضوء.. فأشتعل مقترباً .. لأشاهد الأحلام تتحد أمامي.. تحثني على التخلي عني والانضمام لها..
ولكني لا أفعل.. إني فقط أحمل الحقيبة الصغيرة والابتسامة الوقحة وأتابع المسير إلى حيث لا أعلم..

37
فؤادك أيها المجنون..

سأخبركم بشيء قبل ارتكابي للذي لا يحق لي.. ولا لكم..

بالأصل كانت الحياة ساحة مليئة بالبدائل ومتاحة بالخيارات لذا وجد العقل ووجدت الروح, لكي يكون الأول أداة اختيار وانتقاء ولتكون الثانية سجل أبدي يطوى يوم الممات ليفتح فيما بعد..
أما في منظومة الشقاء فالأمر يختلف فلم أسمع أن سجيناً أختار أي عنبر سيسكن أو أن محكوماً عليه بالإعدام أختار بنفسه " ماركة المشنقة ". في الدول المتحضرة يسألونه إن كان يريد قبل الإعدام " سيجارة " أما في الدول المتبعة فلسفة " القطيع " فتمنعه من هذه السيجارة من باب (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) هذا والرجل يتدلى برعب بين قسوة نيوتن واستثناءات القدر..!!

(أنتخب جلادك).. كشعارٍ للمرحلة..!!

المضحك أن الرؤى الانفتاحية المقدسة أرادت قلب هذه المسلمة الأزلية وشرعت في إدخال المفهوم الثوري للديمقراطية في العقل العربي, لينتج هذا العقل فيما بعد أفكاراً أقل تطرفاً. فعلى سبل المثال سيخير المعارض بين الانتحار أو التوبة.. فحين ينتحر تقول أبواق النظام أن المعارض أدرك بعد فوات الأوان خيانته وتقصير تجاه (الذات الملكية) فقرر أن يضحي بنفسه مثل الساموراي ليكفر عن خطيئته.. وحين يتوب يقولون بأن يد صاحب الجلالة تنبسط بعد الساعة الثانية فجراً كل يوم لتنتزع توبة العصاة من أبناء هذا الوطن المحظوظ بكون صاحب الجلالة هو ملكه ومصيره الحتمي والأبدي.

لم يكن هذا حالنا أثناء الموجة الشيوعية والقومية وحقبة الجمهوريات الثورية والجمهوريات "البقرية" التي أشارت لنا على أننا الحثالة والأوغاد البدو والرجعيون والتي أشرنا إليها على أنها الكفر والفسق والانحلال وكلمة (عيب) التي قالها التاريخ لهم..!! في تلك الفترة كنا نعيش بهوية واحدة مشتركة رغم أن حكوماتنا تتلاعن ليل نهار ورغم أن الرئيس الذي ينام يغتاله الرئيس الذي لم ينم..! كانت سياستنا مليئة بالـ " جمالات " ولكن كانت لنا (أم كلثوم) واحدة وإسرائيل واحدة..!!

نحن الذين لم نعد نتلاعن آناء الليل وأطراف النهار.. نحن المحاطون بالعلمانيين الذين لا يملك نصفهم إلا (شهادات تطعيم ورابع ابتدائي) والليبراليين المصابين بعقد جنسية والتقدميين المتجهين صوب (الأمام الغربي).. والإسلاميين الذين تركوا (قال الله وقال الرسول) وهرولوا خلف (قال عضو البرلمان).. نحن من ندرك أن كل هذا التشابه في الشقاء ووحدة الألم هدية زرقاء قدمتها الخطط الإستراتيجية لنا ذات يقظة ضمير..

أريد أن أكون منتمياً.. أريد هوية لأمر بها من نقاط تفتيش التاريخ..

ماذا لو كنت إسلامي ولكن من النوع المهادن.. بصريح العبارة من النوع (

الجبان).. ضد الشعب.. ضد الانتماء نفسه.. ضد الإنسانية كلها.. ولكن مع الحكومة.. معها كالعليق..! طفيلي من النوع المغفور له بإذن اللّه..! منافق جداً ولكن من باب (سد الذرائع).. أكره فيروز من بين الفاسقين والفاسقات لأنها غنت للثوار فرددوها بكاءً (خندقي قبري وقبري خندقي)..

ماذا لو كنت ليبرالي حليق اللحية والشارب وحتى الحواجب.. دكتوراه في السياسة الدولية ولكن في حقيقة الأمر " حمار غنم " لا أعرف حتى الآن لمَ قرر المعسكر الشرقي أن ينهار في أول التسعينات بدل أن ينهار في عام 2001.. لي ثلاث روايات لأني بالأصل أحب الأدب الذي يطرح واقع (قلة الأدب).. عندي بنت واحدة وزوجتي مصابة بعقد نفسية حادة نتيجة عشرتي المرة.. أخرج مرة واحدة في السنة بقناة إخبارية وأكتب سبع مقالات في الأسبوع لمجلة ثقافية.. وأستلم مرتباً وقدرة 20000 ألف دولار بالشهر من معهد (الشرق الأهبل) بكاليفورنيا.. كما أن صورتي موجودة في أحد مكاتب "مركز شمعون حنانيه للسلام" تحت عنوان (استعن بعميل)..!!

ماذا لو كنت (شيوعي قومي إسلامي) أرسم منذ طفولتي المطرقة والمنجل وأكتب فوقها (لا إله إلا اللّه) وتحتها (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة).. وأحب "الرفيق" أسامة وجيفارا وأبو ذر الغفاري.. وأحمل في صدري صرخة هائلة (أخرجوا الرأسماليين الامبرياليين من جزيرة العرب).. وعلى قناعة بأن تروتسكي لو قرأ سيرة عمر رضي اللّه عنه لأسلم.. وعلى قناعة أن نيتشه شاعر حسبوا بكاءه فلسفة.. وأن هيجل تربطه علاقة مشبوهة بابن طفيل.. وأن الدين النابع من الفلسفة ليس إلا فلسفة دينية..!! حقاً ماذا لو كنت ذلك الشخص البائس الملقب بالزنديق عند المحافظين والضال عند الوطنيين والرجعي عند التقدميين.. ماذا لو كنت ذاك البائس الذي لا يدعى للمهرجانات الثقافية والذي لا يقدم كتابة في (اضاءات) ولا يعمل في معهد دراسات تحت مسمى (عميل في طور أبو ذنيبة) أو (عميل تحت الإنشاء).. ماذا لو كنت مثله وفرض العبث استمرار وجودي داخل هذه المعمعة الفكرية كوجهة نظر أخرى يريد أن يغازل بها الواقع ويقنع بها المستحيل..!!

إن مثل هذه الرؤى لا تفتح لي أبواب الجنة المغلقة ولكنها تفتح كل الأبواب المؤدية إلى الجحيم.. إنها ببساطة تحميني من الموت بسبب الازدحام..!!

هذا كل ما في الأمر..

38
تعال خذني فلن أعود..

أحاول التعبير بالطريقة " المؤدبة".. الملائمة..
أصمت وأدع المنطق يتسلل إلى رأسي ..

الغضب الآتي نقياً إلى رئتي ينطق لعنتي بلغتهم..
يقول القسيس الأبيض بعد أن أحمر وجهه غضباً بعد جعلته ينطق غصباً " الأقصى " :

لست إلا زنجي غني يا لعين.. اطوي سجل تاريخك وابلعه..
لست إلا زنجي غني..!!

عربي.. زنجي.. لاتيني.. صيني..
أي عرق يجعلك تشعر بالعار فعلاً ..؟

أخبرني المصطفى بأن العرق "دساس"
وأخبرني التاريخ الذي يجلد مؤخرات الخونة والفئران ذات الكروش المنتفخة بألاّ أتعلم معنى الإنسانية من العرق الذي رمى القنابل النووية وأحرق البشر في الأفران.. لن أتعلم المعنى الذي شرفني اللّه به من ثقافة وغدة بدل أن تنتهي بـ"آدم" تنتهي بـ"قرد"..

ولكن..
ابن القرد سيد سيدي..
سيدي يقايض إنسانيتنا بالمزيد من أيام الحكم للقردة..
ثم يرمي للمخلوقات البائسة الفتات والأحلام المشوهة..

لا أحد يملك الجرأة ليبصق في وجه الهراء.. لا أحد يمتلك الرجولة الكافية ليلعن دين الدولار واليورو.. لذا تستمر دائرة الغضب المفرغة بتوليد مكونات الشقاء.. ارهاب.. تطرف.. انحلال.. فقر.. غنا فاحش..

أحاول أن أصل للحقيقة بأقل كمية ممكنة من الحقد.. فلا أستطيع..
كلما قرأت أكثر.. كلما عرفت المزيد من البشر من جميع دول الأرض.. كلما تجردت من كل شيء وتشبث بإنسانيتي.. كلما كرهت نعيمهم المقيت..

قذارة الفكر وطرق الحياة العفنة تغطي قشرة الأرض.. تمنع الشمس من الوصول.. من تطهير العقل البشري من الجهل.. لذا تستمر الأفواه الشرهة بتقبيل الأيادي والكتوف والمؤخرات.. لذا تستمر أنقى وأشرف المعاني الإنسانية بتحدي الدين السائد والولوج لحياتنا بالمجان.. مهملة.. مرمية.. مكتوبة على جدران الأزقة الضيقة..

يوماً ما سيقف طفل غاضب في الزقاق هرباً من كابوس جحيمي مصغر..
سيقرأ عبارات مكسرة.. تشير إلى قلبه المحطم.. سيشعر بالأمان للحظة واحدة.. ثم سيدرك لمَ خلقه اللّه هنا.. لمَ جعله يقف ليقرأ.. يوماً ما سيكبر وسيعلم بأن سيده ليس إلا مسخ.. جرذ.. لا شيء.. مجرد كائن قذر يحدث أنه يشبهه ويتحدث ذات اللغه التي يتحدث بها.. يوماً ما سيعلم بأن شيخه ليس إلا

وغد آخر سيكنس جهنم بلحيته..

يوماً سيشاهد بالتلفاز طفلاً مثله يقف أمام دبابة وبيده حجر..
وسيشاهد فتاة جميلة ذات شعر طويل وفستان قصير وعينان واسعتان تطلب منه أنه يغني.. أن يرقص.. على كلمات تحثه أن يكون طفلاً بريئاً.. أن يلعب في حديقة المنزل التي لا يعرفه.. أن يرسم في كراسة المدرسة التي لم يذهب لها.. أن يلعب في لعبته التي لا يمتلكها..

يوماً سيصبح هذا الطفل عنصري.. متخلف.. إرهابي.. متطرف..
سيكون مدمراً جداً..
تماماً كتلك العبارات التي كان يقرأها على جدران الأزقة..
ستكون إنسانية صافية.. ولن يكبر ليهرب من عاره بكأس.. ولا بلفافة.. ولا بابرة..

سيكون طفلاً بكل ما تحمله الكلمة من شرف بين الوحوش والمسوخ والديناصورات..
لذا سيرسم على الحجر شمساً وقمراً ونجوماً.. وسيرجم أول دبابة يصادفها تحمي أي قصر.. ليتشارك اللعب مع بقية الأطفال..

هكذا سيعود العالم حراً رغماً عن الصليب والنجمة والدولار واللحى المزورة ..

وللجحيم سبعة أبواب..

39
العفش..

فجأة أتذكرك.. أفكر فيك..
في المكان الخاطئ أتذكرك..
في الزمان الخاطئ أحبك..

تبا..
لقد أفسدت الأمر هذه المرة..
كنت أعلم أن هناك شيء لا يسير على مايرام..
كنت تعلمين بأن الأمر على مايرام..

أمتلك ابتسامة جديدة الآن..
أمتلك فم مليء بالهراء..
وقلب لم يعد يحب شيء..
مرحبا بي مجددا بين الملاعين القادرين على ارتكاب يوم آخر

تبا لك
تبا لذكراك..

الآن..

أغلق المصباح..
أغمض عيني
..

وأفيق..

40
مثلي تماماً..

كانت الألحان تنداح برقة في الفضاء.. كل المشاهد كانت جميلة وتستحق النظر.. ثمة شيء ما قاس ومتوحش لم يعتد كل هذا الجمال..
شيء ما يدفعني ببهجة فأسير ثملاً في شوارع المدينة الباردة..

شيء ما يهمس بأذني :
أظن بأنك مجنون..
مثلي تماماً..

أضرب صدري بقوة.. أبحث عن قلبي.. فأتذكر أنني نسيته..
في مكان ما هناك..

شيء لعين ما زال يضحك وهو يسألني :
من أنت الآن..؟

لم أعد أدري..
أقلعت عن التخمين حين أدركت بأني سأكون المحصلة النهائية لمجموعة الحماقات التي سأقوم بها..

هل تشعر بي الأشياء الوغدة التي تريد صياغة كيمياء مشاعري بالشكل الملائم..؟
هل يستحق الأمر كل هذا العناء من أجل قليل من الاتزان..

الأحاسيس التي لم أعرف بيوم كيفية ارتكابها تتوسد الرصيف الذي أسير

متخبطاً عليه..
الأصوات التي تخذش الصمت تخبرني بأنني يجب أن أفكر مرتين قبل أن أقدم على خطوة جديدة..

أحاول لملمة روحي المنثورة على الرصيف ومتابعة المسير نحو اللاشيء.. نحو الضياع.. حيث الضحكات اللعينة والوجوه المحاصرة بالخطيئة..

ثم أقف..
في منتصف الطريق..
فتصمت الأصوات..
وتكف الخطى الجديدة على اهانة المزيد من المسافة..

أفكر مرتين..
ثم أخرج بوجهات نظر مختلفة..
ثم نفترق..
وأعود بجزء مني إلى كهفي..
لأصنعني..
ثم ادمرني من جديد..

دائرة الحياة المفرغة تحيط بالارواح الملحدة..
تعيد انتاجها بكينونات متعددة..
ولا شيء يغادر فقاعة الأبدية المؤقتة قبل الأوان..
لا شيء..

أدفن رأسي بين ذراعي..
أدعي بأنني نمت..
وبأنني رأيت حلماً جميلاً..
ثم لا أفيق..
ولا أعرف هذا أبداً..

ثم أسمع ذات الصوت المألوف وهو يقول لي هامساً :
أظن بأنك مجنون..
مثلي تماماً

ثم أضحك..
أطيع اللحظة الهائلة.. التي لن تحدث أبداً..
تلك التي لا تنحني مع حدبة الزمن..
تلك التي سترسم علامة نابية في وجه الليل..
وتشنقها الشمس " ظلاً " في قرص المزولة

هل تفهمني الآن..
هل تعي أي بعد لعين تهيم فيه دهشتك

41

الفتاة الحمراء..

كنت أسير بسرعة والمطر يجلدني ويحاول التسلل إلى الحقيبة حين توقفت أمام الإشارة.. كان الرجل الأحمر الذي يقف بهيبة في مصباح الإشارة يمنعني من العبور.. بهذا الوضع المزري كنت أنظر لقدماي ثم أضحك بجنون فيحدق المارة بي.. كنت أترنح تحت المطر وأرقص مع الحقيبة الميئة بالكتب اللعينة.. فجأة شعرت وكأن المطر ثبت بالهواء وكأن كل الضوء الذي ينسكب في عيني أشار لها.. كانت تسير بسرعة في الرصيف المقابل حتى توقفت أمام الإشارة ..
أخرجت من الكيس الذي تحمله مظلة صغيرة وأحتمت تحتها.. كنت أشاهدها بفضول وكأن أحداً ما صرخ بي وقال لي أنظر لها..

فجأة خرج الرجل الأخضر وبدأت القطرات تهطل من جديد والناس يمرون بجانبي بسرعة ليقطعوا الشارع.. كنت أحاول حث عقلي ليحث بدوره قدماي على المسير.. إلا أن الفتاة الجميلة انتزعت مني جميع دوافعي الغبية.. مرت بجانبي ببطء.. قلت لها بلغتي المكسرة وأنا أضع الحقيبة فوق رأسي كتصرف سخيف للاحتماء من المطر:

(أنت الفتاة الحمراء)
توقفَت عن المسير ورفعت المظلة للأعلى قليلاً حتى بان وجهها وقالت بأنها لم تسمعني جيداً.. أنزلت الحقيبة بعد أن أكتشفت بأن الأمر مجرد تصرف أحمق وقلت لها بحماس بأنها الفتاة الحمراء.. حين أشاهدها لا بد أن أقف.. تماماً كالرجل الأحمر.. إلا أني أكره الوقف مع الأول وأتمنى ألاّ يمر الوقت أبداً معها.. نظرت لي طويلاً.. كنت أنظر لها وهي تغوص في عيني وأتمنى أن تجدني.. أتمنى أن تشاهد الشخص الذي صرخ بداخلي حين شاهدتها..

بعدها عادت للوراء خطوتين وقالت بصوت عذب : (وأنت مجنون تحت المطر).. وذهبت وهي تضحك برقة..

إن الفتاة الجميلة لا تحب إلا المرآة.. والصعلوك لا يحب إلا الأشياء التي لا يريد امتلاكها.. وإن المطر لا يبالي إن كنت أسير في شوارع المدينة باحثاً عن شقتي الضائعة وأنا على وفاق مع الرفيق نيوتن أم لا..

حين دخلت للشقة وضعت الحقيبة على الأرض وأدخلت يدي في جيبي أبحث عن اللفافة التي أدخرتها للحظة "الآن" التي تتسكع مع رعشة عقرب الثواني.. أخرجت من جيبي لفافة مكسورة وتحت التبغ الهارب من اللفافة ورقة صغيرة.. رفعت الورقة فقرأت (ستشاهد الكثير حين يفوتك الكثير).. نفضت التبغ في الهواء ثم أرتميت على السرير وأغمضت عيناي كي أراها من جديد..

42
شوربة الخفافيش

أحاول أن أختفي..
أن أظهر..
أن أهرب..
أن أعود..

أبحث عن قطعة من الليل نست المصابيح أن تطردها وأضع رأسي وأنام لأنهض باحثاً عن جزء يقض في رأسي لأبدأ اليوم.. أسير على الأرض التي تسأل خطاي عني.. كميرات المراقبة تحز الناس وهم يسعون في أرصفة المدينة..

إن صورتي مسجونة في أشرطة المراقبة المهملة.. لا أحد يشعر بالأمان هنا بعد أن قرر الجميع أن يعيشوا وفق زوايا المثلث..
فإما زبون أو تاجر أو لص..

الكلمات المشتتة تستعمر وعيي.. أسمعها وهي تهذي في أذني.. أشعر وكأنها سر مخيف تم تفكيكه وتفريقه بين الأشياء البريئة..
تقول لي حين تدرك أنك لا تستطيع بناء أي شيء ستدرك أيضاً قدرتك الهائلة على تحطيم كل شيء..
تقول لي إن شيء خبيث يكرهك.. يريدك أن تأتي معطوباً كما أنت للغد..
تقول لي بأن شيئاً بشع يجب أن يحدث ليدرك المغفلين الحقيقة..

أخبرتني أنه لا شيء قادرة على مقاومة الرغبة بالبقاء.
لذا تكاثر النمل..

هاجرت الطيور..
صنع الإنسان..
بعد فترة مات النمل.. ولد نمل آخر..
ماتت الطيور.. وولدت أخرى..
حينها نقش الإنسان على الصخر صورة له وهو ممسك بوحش مرعب.. ثم مات الإنسان.. لكن لم يولد آخر.. لقد ولد هو من جديد.. أنه يعود من جديد ليكمل عمله.. لا يصح أن يسير الأمر بشكل دائري لكائن مثل الإنسان..

هناك ذروة لابد من الوصول إليها.. حتى إن اقتضى الأمر تحطيم الكون كله..

صورة الإنسان الممسك بالوحش تحولت إلى أسطورة للأغبياء.. مادة علمية للأذكياء.. و شيء مثير للسخرية يشبه صورة الزعيم وهو على صهوة آلته العسكرية المرعبة..

بعد مليون سنة سيشاهد ثلاثة أحد زعماء العصر القديم وهو يسير بين الناس وهم يهتفون ويلوحون له..
الأول سيظن بأنه أسطوره.. وهذا هو المغفل
والثاني سينظر له نظرة العلم.. وهذا الذكي
والأخير سيكمل ما بدأته قبل مليون سنه وسيكتب عن استحالة مقاومة رغبة البقاء..
تلك التي تجعل الكائنات الضعيفة تتكاثر لستمر بالهاث في درب الوجود..
تلك التي تجعل الكائن المعقد الوحيد ينحت على الحجر.. يبني في السماء..
يسافر للقمر.. يطل من فوق أسوار المجهول..

فقط ليخبر اللاحقين أنه كان هنا.. أنه قتل الوحش.. أنه حاول البقاء قدر المستطاع..
أنه لا يجب أن يسير في كينونته كما بقية الأشياء بالشكل الدائري..

ولكنه مات.. تحلل.. أختفى..

)لقد مات الإنسان (!

هكذا تقول أدواته التي نقش بها على الصخر صورة له وهو ممسك " بالوحش "..

43

عـنـفـوان إبـلـيـسـي..

أدرك تماماً ما معنى أن تدس قلبك في معطفك وتشق دربك بعينين تـنـضـحـان بالغضب

شيء لعين يشبه وجه حسناء رخيصة يحثني على أن أعيش بسرعة وأن أموت ببطء

الغربة بعثرة قناعاتي, كلما ألقيت نظرة على روحي وجدت المزيد من الثقوب

رأس السيجارة المشتعل يتحدى المطر, كيف يحدث ألا تسقط قطرة مطر على الجمرة

إن التساؤلات السخيفة تخدر مشاعري , أشعر بالتبلد وهو يركل كل العالم من رأسي

الحالة الزرقاء تثير التناقضات.. مازلت أمتلك القوة الكافية لأخبر من أحب في وجهه كم أكرهه

أحياناً من المفيد أن تثبت لنفسك بأنك وغد.. حينها لن تصدق أي مغفل تقابله حين يخبرك كم أنت طيب

كيف يحدث أن تصدق أي شيء وأنت لا تستطيع معرفة حقيقة أي شيء كما كنت تتصور..

من الغباء رسم دائرة خيالية ومطالبة الحقيقة بالسير داخلها

الحقيقة لا تحتاج لعجلات لتتحرك

حين أنظر لنفسي في المرآة لا أرى الشيء الذي يتحدّث داخلي

ولا الشيء الذي يحثني على متابعة الكبس على مفاتيح الحروف

الشعور باللاجدوى يحثني على متابعة البحث عن الأشياء التي يجب لها ألاّ تحدث

إني الآن أدرك ما معنى أن ترمي رأسك للحلم وتلتقطه لليقظة

أدرك ما معنى أن يتحول رأسك" لنرد"

44

أشيـاء صغيـرة..

المعنى المطلق طلسم

الآن بتوهج
يحدث أن أكتب
للعقل العبقري
لروح الوحش
لقلب البطل

أي شيء أقل من الألم لا قيمة له

أخرج من كهفي كل يوم بحثاً عن شيء لا أعرفه
أشعر بأني أتحدى قوة جبارة كل يوم
أعود إلى كهفي مثخناً بالجراح
أرمي نفسي كالخردة وأنام بلا أحلام

حياة قاسية لروح وقحة

لقد توقف المطر عن الهطول
العصافير تغرد في الساعة الثالثة فجراً
كانت النافذة المفتوحة تسمح للفوضى بالدخول إلى غرفتي
ماذا يجب أن يحدث الآن ؟
المزيد من الجديد

كأنها سعادة

أستطيع الآن رؤية وجه أبي
إنه يبتسم
أليس كذلك ؟
إنني ابتسم
أليس كذلك ؟

النفاذ..

الشمعة تحترق بصمت
كوب الشاي يبرد بصبر
السيجارة تتلاشى بسحر
والقلم ينزف بجنون

سأحتضن أشيائي الصغيرة
سأغمض عيناي
سأتخيل بأن كل شيء على ما يرام
كل شيء على ما يرام

..

45
في قلبك..

الآن والوضع يتجه نحو الأسوأ
..
هذه العينان تجلبان الأرق
.

عشوائية الحقيقة تأتي على كل الأشياء الجميلة المزورة
من يبحث عن الأشياء ليحبها سيعيد إعمار كل ما يهدمه الألم
ومن يبحث عن الحقيقة ليعرفها سيعيش وحيداً بين الأشياء المحطمة
.

إعادة تصنيع
..

هل تستحق الحقيقة كل هذا الألم ؟
وهل يستحق الزيف كل هذا التنازل ؟

العقل ينتهي على عتبات القلب
وهناك يبدأ كل شيء
..

الأمر دائماً بسيط
بسيط جداً
حتى أننا أحياناً نتساءل
إن كان قادراً على حل كل هذا التعقيد
.

نـهايـة كـل الأشـيـاء

إني وحدي هنا .. دائماً وأبداً وحدي هنا..ك
إلى أين تشير سبابة الروح حين أقول " هناك " ؟ .. إلى أين ..؟
إن الكائنات المنهكة تتكاثر في عيني..
الكثير من الوجوه المتعبة والمليئة بالمعصية والطهر والخطيئة تطوف حول محراب نظري وكأني خارج لعنة الدنيا ..
لا أريد أي شيء .. حتى أني لا أريد ألاّ أريد!!
كل شيء " دائري " ..
كل شيء يملك خيار الاستسلام والطاعة والهزيمة..
إلا الحقيقة.. إنها " تيّار " من يركبه يجن ..
ومن يحاول إيقافه يموت مختنقاً بحسرته..

كهذا تتخذ الأشياء الأساسية شكل الدائرة لتعاود الحدوث مرة بعد أخرى..
لذا لن أنحني معها لأعاود الدوران..
سـأتركني..
هـائماً..
أتلمس الابتسامات المزروعة..
والليل والنهار خلفي
يحاولان اللحاق بي..
لأقف في الطرف الآخر من " السطر"..
بعد أن أدرك..
أن كل ما سبق (نــــقــــطة)

•